وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الرحلات الجغرافية ودورها في التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي ومشرقه

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: التاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:

- سنياني سارة
- عفرون صليحة

إشراف الأستاذ:

د. موهوبي نور الدين

السنة الجامعية

1440-1441هـ / 2018-2019م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الرحلات الجغرافية ودورها في التواصل الثقافي

بين المغرب الإسلامي ومشرقه

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: التاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:
- سنياني سارة
- عفرون صليحة

إشراف الأستاذ:
د. موهوبي نور الدين

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
-1		
-2		
-3		

السنة الجامعية

1440-1441هـ / 2018-2019م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أحمد الله جلّ وعلا واشكره بكرة وأصيلا على ما أنعم عليّ ووفقني وأطال الله في عمري لإنجاز هذا العمل، يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير الخالص إلى الدكتور موهوبي نور الدين الذي كان له الفضل في قبوله الإشراف على هذه المذكرة وعلى ما قدمه من آراء وملاحظات ونصائح هامة وتوجيهات قيمة طيلة فترة إنجاز هذه المذكرة فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتقدم بعظيم الشكر إلى إدارة كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية وأساتذة قسم التاريخ وإلى كل من درسنا وساعدنا إلى أن نصل إلى ما نحن عليه.

وعظيم الشكر إلى لجنة المناقشة لتفضلهم علينا بمناقشة مذكرتنا

وأخيرا أتقدم بجزيل الشكر والإعتراف بالجميل إلى كل من ساعدنا في إتمام هذا العمل

إهداء:

وما توفيقي إلا بالله فله الحمد كما ينبغي لجلاله وعزته، وبعد قوله تعالى "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا".

إلى سندي في هذه الحياة والداي العزيزان حفظهما الله ورعاهما وأطال في عمرهما .

إلى إخوتي وأخواتي أبقاهم الله لي ذخرا في هذه الحياة وإلى كل العائلة الكريمة.

إلى زوجي ورفيق دربي.

إلى كل من علمني حرفا وأنار بعلمه عقلي أساتذتي الكرام في مقدمتهم أبي الغالي.

إلى صديقتي التي شاركتني في إنجاز هذا العمل.

إلى كل من يعرفني من قريب أو من بعيد.

أهدي ثمرة جهدي.

صليحة

الإهداء

الحمد لله نور السماوات والأرض الذي ما خيب ضني يوما الذي سجدت له كل الكائنات

الحمد لله مكنني من ربط خيوط هدايتي لأزفها لكل الأحباب أهدي ثمرة جهدي وقبل أي أحد

إلى الذي له الفضل في ما أنا عليه وما وصلت إليه الآن ، ومهما حاولت أن أرد جميله فلم أستطيع.

أبي العزيز

إلى التي حملتني وهنا على وهن وأحسنت تربتي، وقاسمتني ما بوسعها من عطف وحنان، ومن لم تبخل عليا بدعائها.

إلى التي بلغت أعلى وأرقى المراتب في قلبي

أمي الغالية

أهدي هذا العمل إلى نبع الحنان التي لم تبخل عليا بدعائها حنانها وعطفها

أمي الحنون

إلى مصدر راحتي في الحياة أختي أدامها الله لي

إلى سندي وعزوتي في الدنيا إخوتي وفقهم الله في حياتهم وسدد خطاهم

وإلى كل أهلي وأقاربي

إلى صديقاتي وأنيساتي في وحشتي اللواتي لم يتخلين عني يوما في ظروفي الصعبة

إلى كل من وسعه قلبي ولم تسعه ورقتي

جزيل الشكر مني لكم.....

سارة

مقدمة

مقدمة:

كانت ولا تزال الرحلات الجغرافية من دعائم التبادل الثقافي والتلاقح الحضاري بن المغرب الإسلامي ومشرقه في عصور الإسلام الأولى ، فهي تعد بذلك نقطة تحول في جميع المجالات، ثقافية كانت، اجتماعية أو حتى استكشافية، فصنعت ذلك الاحتكاك بالشعوب الأخرى وأدت إلى معرفة عاداتهم وتقاليدهم. سواء كانت هذه الرحلات برية أو بحرية، فردية أو جماعية، فهي إسقاط للفاصل الجغرافي بين قطري العالم الإسلامي. والتي لعبت دورا هاما في التواصل الثقافي، والعلمي، والحضاري بين الشعوب .

وقد تنوعت هذه الرحلات باختلافها حيث كان حج البيت و طلب العلم من أهم دوافع هذه الرحلات إضافة إلى الرغبة في الاستطلاع وحب الاكتشاف للتعرف على ثقافة الغير من خلال التنقل والترحال بين المشرق والمغرب الإسلاميين.

أسباب اختيار الموضوع :

اعتبارا لتخصصنا واهتمامنا الكبير بدراسة مختلف الأحداث والظواهر التي عرفها التاريخ الإسلامي، وحبنا لموضوع الرحلات الجغرافية، وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فالأسباب الذاتية تمثلت في ميولنا لتاريخ الغرب الإسلامي عامة ، ودراسة مختلف المصادر التاريخية الإسلامية وبخاصة كتب الرحلات، أما الأسباب الموضوعية فتكمن في:

- رغبتنا في التعرف على تاريخ الرحلات الجغرافية ودورها في إظهار التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي ومشرقه.
- قيمة الموضوع العلمية وأهميته التاريخية.
- الابتعاد عن المواضيع السياسية التي أسهب المؤرخون في دراستها.

أهمية الموضوع:

يكتسي موضوع الرحلات الجغرافية بين قطري العالم الإسلامي أهمية كبيرة، بحيث يمكننا اعتبار كتب الرحلات من أوثق المصادر التاريخية إذ أنها تطلعنا على أحوال الماضين من الأمم وكذا ثقافتهم وحضارتهم، وعلومهم ناهيك عن التبادل الثقافي والعلمي بين المغرب والمشرق الإسلاميين. وتكمن أهمية هذه الدراسة في:

- الوقوف على أسباب ودوافع هذه الرحلات.
- الوقوف على نشأة الرحلة وتطورها في التاريخ الإسلامي.
- التعرف على الرحلات الجغرافية سواء كانت مشرقية أو مغربية.
- معرفة دور هذه الرحلات الجغرافية في التبادل الثقافي والعلمي.
- معرفة مدى تأثير الرحلات الجغرافية في بلورة الثقافة العربية الإسلامية.

إشكالية الدراسة :

الإشكالية الأساسية لمذكرتنا هي: دور الرحلات في التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي ومشرقه؟ وللإجابة عنها طرحنا التساؤلات التالية:

- ماهي أهم الرحلات الإسلامية المغربية والمشرقية ؟
- ما مدى تأثير الرحلات في التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي ومشرقه؟

الدراسات السابقة :

ومن المراجع التي لها علاقة مباشرة بموضوعنا:

- العلماء المشارقة ببلاد المغارب ودورهم في الحركة الفكرية (668-140هـ/757-1269م) لخديجة طاهر منصور، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف عبد القادر بوباية، جامعة وهران، تطرقت فيها لإبراز التأثير الثقافي و العلمي لعلماء المشرق في بلاد المغرب.

المنهج المتبع في البحث :

تقتضي الدراسة العلمية من كل باحث الإلمام بالمنهج المتبع، ولدراسة موضوعنا هذا اعتمدنا على المنهج التاريخي، كما استعنا كذلك بالمنهج الوصفي.

خطة البحث :

بعد اطلاعنا على المادة العلمية التي لها صلة وثيقة بموضوعنا، وللإجابة على التساؤلات المطروحة ارتأينا تقسيم عملنا هذا إلى مقدمة وثلاث مباحث واحتوى كل مبحث على عدة عناصر، وانتهينا إلى خاتمة لهذه الدراسة ومجموعة من الملاحق.

المقدمة: ضمناها تمهيدا لموضوع البحث، أسباب اختيار الموضوع، أهمية الدراسة، الإشكالية، الدراسات السابقة والمنهج الذي اتبعناه في إعداد هذه الدراسة، والصعوبات التي واجهتنا.

المبحث الأول: جاء تحت عنوان "الرحلات الجغرافية في العالم الإسلامي" ، وقد احتوى ثلاث عناصر أولها تعريف الرحلة من حيث (اللغة والاصطلاح) ثانياً نشأة الرحلة ودوافعها الذي أوردنا فيه (الرحلة في العصر الجاهلي، الرحلة عند المسلمين، دوافع الرحلة-دينيا وعلميا ، اقتصاديا وسياسيا،سياحيا وثقافيا،صحيا- وقد جاءت هذه الدوافع بشكل عام ، ثالثاً تطور الرحلة وأهميتها(الرحلة في عصر النبوة، الرحلة في صدر الإسلام، أهمية الرحلة).

المبحث الثاني : خصصناه لدراسة "مظاهر الرحلات الجغرافية بين قطري العالم الإسلامي مشرقه ومغربه" وقسمناه إلى ثلاثة عناصر وهي دوافع الرحلات المغربية ، نماذج من رحلات المغاربة إلى المشرق، و أخيرا تناولنا نماذج من المرتحلين من المشرق إلى المغرب.

المبحث الثالث : عنوناه بدور الرحلات الجغرافية في تحقيق التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي ومشرقه، واحتوى هذا المبحث على ثلاث عناصر : الأول دور العامل السياسي في تحقيق التواصل الثقافي، والثاني دور العامل الديني في تحقيق التواصل الثقافي، والثالث دور العامل العلمي والتعليمي في تحقيق التواصل الثقافي.

وخلصنا إلى خاتمة ضمناها مجموعة من الاستنتاجات المستخلصة من الدراسة.

المصادر والمراجع المعتمدة في مذكرتنا:

لما كان موضوع الدراسة هو الرحلات الجغرافية ودورها في التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي ومشرقه، فإننا اعتمادنا الأكبر كان على كتب الرحلات ،لأنها تعتبر من أهم المصادر التي نجحت في نقل الأحداث بكل شفافية، ومن هذه المصادر لدينا، رحلة ابن رشيد الفهري السبتي "ملء العيبة بما جمع في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة"، "رحلة العبدري"، رحلة ابن بطوطة، "رحلة عبد الباسط بن خليل"، بالإضافة إلى مصنفات ابن خلدون "المقدمة" تعتبر من أهم المصادر التي تؤكد على ضرورة القيام بالرحلة في طلب العلم والحث على التنقل والارتحال في سبيل ذلك، وكتاب"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" و"رحلة ابن خلدون"

كذلك المعاجم التي ساعدتنا في التعريف ببعض المصطلحات نذكر منها" لسان العرب" لأبو الفضل جمال الدين ابن منظور، و"معجم البلدان" لمؤلفه ياقوت الحموي، مع أننا لا نستطيع أن ننسى الفضل الكبير لكتب التراجم فهي عبارة عن مصادر استخدمناها في ترجمة الشخصيات المعروضة في موضوع البحث ولدينا في هذا الصدد ابن مريم التلمساني "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"

من المراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة:

- كتاب الرحلة والرحالة المسلمون للدكتور أحمد رمضان أحمد ، الذي اشتمل على تعريف الرحلة
- و الرحالة المشارقة والمغاربة.
- كتاب أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل، الذي تطرق فيه إلى الرحلة والرحلات العربية وأغراضها وأهدافها وكذا غاياتها.

- كتاب أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، لنوال عبد الرحمان شوابكة ، والذي تناول دوافع الرحلات وبواعثها.

الصعوبات:

لاشك في أن كل بحث جاد يتبعه العديد من الصعاب، وهنا تكمن متعة البحث والعمل خاصة في كيفية التغلب عليها.

- وخلال فترة دراستنا للموضوع واجهتنا صعوبات عديدة من بينها:
- قلة المصادر التي تطرقت إلى موضوع الرحلة في حد ذاتها باستثناء ابن خلدون وابن بطوطة و العبدري، أما باقي المصادر فقد تناولته في شكل نبذة عرضية.كما أن كتب الرحلات في مجملها تناولت الرحلة في شكل وصف الأماكن والبلدان التي مر بها الرحالة .
- تكرر نفس المادة العلمية في أغلب المصادر والمراجع و هو ما صعب علينا عملية ترتيبها، واختيار الأنسب والملائم منها لفائدة موضوع الدراسة.
- قلة الوقت المخصص للبحث (سداسي واحد فقط) جمعنا فيه بين إعداد المذكرة وحضور الملتقيات والأيام الدراسية والتربص.
- العطلة المفاجئة لمدة شهر جراء عملية تنظيم الانتخابات الرئاسية والوضع السياسي المضطرب في الوقت الراهن ما صعب علينا الالتحاق بمكتبة الكلية و كذا الاتصال بالأستاذ المشرف.

ولكن توكّلنا على المولى عزّ وجل، وإرادتنا في النّجاح، وتشجيع أستاذنا المشرف على الجدّ والمثابرة في العمل، جعلنا نتخطّى الكثير من الصّعوبات، ونتمنى من لجنة المناقشة الموقّرة أن تأخذ هذه التبريرات بعين الاعتبار، فالكمال لله وحده، ونذكّر بمقولة عماد الدّين الأصفهاني: "إنّي رأيت أنّه لا يكتب أحد كتابا في يومه، إلّا قال في غده لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيّد هذا كان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر".

وفي الأخير ندعو الله أن يوفّقنا لبلوغ ما توخيناه من غايات، ونفع النّاس بقدر ما ننوي لهم من خيرات، وحمل سوانا على إتمام ما أهملنا، أو إصلاح ما فيه أخطأنا، والحمد لله أولا وأخيرا.

المبحث الأول:

الرحلات الجغرافية في العالم الإسلامي.

أولاً: تعريف الرحلة.

ثانياً: نشأة الرحلة ودوافعها.

ثالثاً: تطور الرحلة وأهميتها

أولاً: تعريف الرحلة:

الرحلة نقلة في المكان والزمان، وسفر داخلي في فكر صاحبها ومعارفه وموقفه من الحياة والوجود ونظرته إلى الناس والمجتمع. وقد ارتحل الناس ولازالوا يرتحلون، غير أن قلة منهم أقبلوا على تدوين الأحداث التي صادفتهم ووصف الأقطار التي مروا بها، وذلك لشعورهم أنهم اطلعوا ما لم يطلع عليه غيرهم فرغبوا في تخليده حتى يعرفه من لم يرحل إلى تلك الأقطار. إن الحديث عن الرحلة يقتضي التفريق بين أمرين أو معنيين اثنين في اللغة والاصطلاح.

لغة:يعرف ابن منظور(ت711ه)،رحل :الرحل :مركب البعير والناقة، جمعه أرحل، والرحالة نحوه،كل ذلك من مراكب النساء ويقال رحل الرحل إذا سار، وأرحلته أنا، ورحل رحول، وقوم رحل، أي يرتحلون كثيرا. ورجل رحال:عالم بذلك مجيد فيه، والراحلة من الإبل. البعير القوي على الأسفار والأحمال[1].

ويقول بطرس البستاني(ت1883م)، في معجمه "محيط المحيط":رحل عن البلد يرحل رحلا. ورحيلا وترحالا. رحل شخص وسار، ومن هذه الأفعال يأتي اسم الرحلة فيعرفها بقوله:الرحلة نوع من الرحيل، يقال رحل فلان رحلة من لا يعود[2].

وفي قاموس المحيط لفيروز آبادي(ت816هـ):ارتحل البعير:سار ومضى القوم عن المكان انتقلوا وترحلوا والاسم الرحلة والرحلة بالضم والكسر،أو بالكسر الارتحال،وبالضم الوجه الذي تقصد، والسفرة الواحدة[3].

---

[1]-أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مج11، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص ص 274-280 .

[2]-بطرس البستاني،محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، طبعة جديدة،1987، ص227.

[3] - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح أنس محمد الشامي وزكريا جلبر أحمد، دار الحديث، دط، القاهرة، 2008، ص626.

كما أشار القرآن الكريم لهذا المعنى في رحلتي الشتاء والصيف اللتين كانت قريش[1] تقوم بهما من أجل التجارة. قال الله تعالى:(**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1)إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(2)**).[2]

والرحلة حركة انتقال لشخص أو أشخاص من مكان إلى مكان آخر، وهذا هو المعنى اللغوي للكلمة، ففي معجم مقاييس اللغة لأبن فارس(ت395):"الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر.يقال:رَحَلَ يَرْحَلُ رِحْلَةً، والرحلة الارتحال، ورَحَّلَهُ إذا أضعنه من مكانه".[3]

وفي ذات السياق يذكر أحمد مختار عمر في كتابه معجم اللغة العربية المعاصرة فيقول:"رحل الشخص عن بلده:سار ومضى، مكث هنا بعض الوقت ثم رحل.وأرحل الشخص:كثرت أسفاره، ارتحل الشخص إلى بلد ما: انتقل إليه. ارتحل الحجيج إلى مكة المكرمة. وارتحل الشخص عن بلد ما أي تركها. تكبر خسارة البلد حين يرحل عنها علماؤها. والرحَّالُ:دائم التنقل".[4]

وعليه تجمع المعاجم والقواميس اللغوية على أن الرحلة هي الانتقال من مكان إلى آخر، وبهذا المعنى يكون العديد من المغاربة أو المشارقة وغيرهم من بني البشر قديما، قد أنجزوا رحلات لا تعد ولا تحصى، لأن الحركة والتنقل من مقتضيات الحياة وطبيعة البشر.

اصطلاحا:الرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجا ذلك بانطباعاته الشخصية والذاتية حول المرتحل إليهم.

---

[1]-**قريش**: قيل سميت قريش لأنهم كانوا أصحاب تجارة، ولم يكونوا أصحاب ولا ضرع والقرش الكسب، قبيلة سميت باسم رجل منهم يقال له قريش ابن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة وكان دليل بن النضر وصاحب سيرتهم.وكانت العرب تقول قد جاءت عير قريش، وخرجت قريش، فغلب عليهم هذا الاسم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، دار إحياء التراث العربي، د ت، بيروت، ص337.

[2]- القرآن الكريم، سورة قريش،ا لآيتين 1-2.

[3]- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح وضبط عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر، سوريا، 1979، ص497.

[4]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008، ص ص869-871.

و أضاف بطرس البستاني مفهوما آخر يتقاطع كثيرا مع مفهومه اللغوي للرحلة، عندما أوضح بأنها قصة يكتبها المسافر لينقل ما جرى له، وما شاهده في رحلته تلك فقال:"وعند المولدين قصة يكتبها المسافر لينقل ما جرى له وما رأى في سفره"[1].

إذن فالرحلة هي الانتقال والتدوين، وهذا ما نجده عند معظم من عرف الرحلة اصطلاحا.

وإنجاز الرحلة–كتاباتها–يتطلب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي يؤهله لنقل أحداث ووقائع سفره إلى كتابة، ولابد لكل رحلة مكتوبة من سفر حقيقي وفعلي، وهذه الكتابة تواكب الرحالة في انتقاله عبر أماكن متعددة ومختلفة واصفا إياها جغرافيا وعمرانيا، اجتماعيا وبشريا، وذاكرا ما لقيه من رحلات العلم والأدب، وما دار في مجالسهم من مناقشات إضافة إلى ذكر كثير من الفوائد العلمية والتاريخية والأدبية، والرسائل والإجازات والأشعار.إلا أنه ليس كل من ارتحل قد دون رحلته.وهو ما يسميه الباحث سعيد يقطين في كتابه "السرد العربي مفاهيم وتجليات"بخطاب الرحلة،ويعرفه بأنه عملية تلفيظ لفعل الرحلة[2].

أما الكاتب صالح ذياب الهندي، فيشير بأن المقصود بالرحلة السفر إلى جهة مقصودة يتوخى من ورائه المرتحل الاطلاع على مناطق على يعرفها، أو أمور يبحث عنها وقد يقوم بتسجيل مطالعاته في تقرير يصبح وثيقة تاريخية أو علمية للرحلة بعد ذلك[3].

ومن هنا يتبين لنا ما يلي:

- الرحلة بشكل عام عملية سفر وترحال للكشف عن المجهول من الأرض والناس.
- جاءت الرحلة لتلبية الدوافع السياسية، الاقتصادية أو العلمية والدينية.

---

[1]– بطرس البستاني، المرجع السابق، ص227.

[2]– جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، إشراف أمحمد بن لخضر فورار، جامعة بسكرة،الجزائر،2014 /2015، ص80.

[3]– صالح ذياب هندي، الرحلة في طلب العلم في الإسلام وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، دراسات العلوم التربوية، مج38، العدد1، دب، 2011م، ص6.

- يمكن أن يكون الرحالة مكتشفا أو مغامرا، حاجا، عالما أو طالب علم.

ثانياً: نشأة الرحلة ودوافعها :

ساعدت الرحلة الإنسان على اكتشاف موطنه الأصلي ليدرك مدى انتشاره في بقاعها،وبهذا تنوعت ألسنتهم وتنوعت طرائق حياتهم.ولقد كلن بين الرحالة رجال علم ودين وكذلك طوافون من هواة السفر والترحال،وآخرون استهوتهم المغامرة ودفعتهم المخاطرة بغرض الكشف عن المجهول.

الرحلة في العصر الجاهلي: لقد عرف العرب الرحلة منذ الجاهلية(قبل الإسلام)، نتيجة لطبيعة الحياة البدوية القائمة على التنقل والترحال، وذلك بغرض التجارة والصيد وكذا البحث عن الماء والكلأ خاصة في سنوات العجاف التي دفعتهم إلى هجرة مضاربهم إلى أكناف المدن، وإلى ومواضع المياه الشحيحة. وقد تمتد سنوات الجفاف وتعم سائر الإقليم[1].

ومن الأمم العربية التي تمدنت قبل الإسلام كانت دولة الأنباط التي امتدت سيطرتها على الجزيرة العربية حتى الحجاز، وكانت الواسطة في التجارة بين الشرق والغرب، وكانوا أصحاب رحلة وسفر من خلال نشاطهم التجاري. أما عن العرب الذين عملوا بالتجارة قريش ذات النشاط التجاري الواسع، وكانت كثيرة الرحلات والأسفار ولها رحلتان مشهورتان كل عام وهما رحلتا الشتاء والصيف[2].

[1]– عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع من الأدب الجغرافي في التراث العربي، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، 1415هـ/1995م، ص15.

[2]– أماني بنت سعيد الحربي، مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين13–14م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف أ.د.لمياء بنت أحمد شافعي، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية ،2015، ص25.

الرحلة عند المسلمين: تشير كتب التاريخ إلى أن العرب كانت لهم تجارة نشطة منذ ما قبل الإسلام، فقد سافروا خارج أوطانهم برا وبحرا، وعرفوا الملاحة والإبحار، واشتهروا بالتجارة مع الشعوب الإفريقية وشرق الجزيرة، حتى بلاد الهند وما وراءها.[1]

رأينا كيف أن العرب تحكموا في التجارة العالمية، وعرفوا المسالك وصالوا وجالوا في عدة ممالك، إلا أن رحلاتهم تلك تفتقد لعدة معاني، وتنقصها العديد من السلوكات الحضارية. وبمجيء الإسلام أعطى نكهة جديدة ومتميزة للرحلات العربية وأضاف إليها الكثير من المعاني، وتعددت أغراضها، وتنوعت أهدافها، وتطورت غاياتها، حيث نجد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم آيات تدعوا إلى السفر والترحال والضرب في الأرض للتفكر والتدبر وأخذ العبر، والتأمل في آيات البارئ وحكمة الخالق،[2]ويقول تعالى:" **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)** "[3].كذلك دعا البشرية إلى اكتساب المعيشة والبحث عن أسباب الرزق الحلال، يقول تعالى:" **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15)** "[4].

ومن هذا العرض الموجز لرحلات العرب قبل الإسلام تبين أن رحلاتهم أدت بهم إلى يعرفوا الطرق البحرية في مناطق متعددة، كما ظهر ما يسمى اليوم بالتبادل التجاري للسلع وظهور طبقة من الأغنياء العرب الذين كانوا يسعون إلى تنمية أموالهم في هذه الرحلات.

ونظرا لأن القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى وفيه من المنافع للبشرية الكثير، فقد توجه الله عز وجل بدعوات صريحة إلى المسلمين للسعي في الأرض والسير في البر وركوب البحر، لانتفاع

---

[1]-أماني سعيد الحربي، المرجع السابق، ص26.

[2]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 1423هـ/2002م، ص29.

[3]- القرآن الكريم، سورة العنكبوت، لآية20.

[4]- القرآن الكريم، سورة الملك، الآية15.

بالخيرات وتدريبا على تحمل مشاق السفر والحل والترحال، والطواف بالقفار والأمصار، وجاءت الفتوحات الإسلامية التي غزت العالم شرقا وغربا حاملة إليهم أعظم رسالة ربانية إلى البشرية كافة.

دوافع الرحلة: الرحلة سلوك إنساني حضاري يأتي بثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها، لهذا كان الدافع من وراء القيام بالرحلة[1].

وقد تعددت الدوافع التي تحمس الإنسان على القيام بالرحلات، ومن جملة هذه الدوافع نذكر:

– الدافع الديني والعلمي: يمثل هذا العامل السبب الرئيسي والأول لأغلبية المتوجهين إلى المشرق الإسلامي. فهو العامل الذي يقضي بشد الرحال من كل حدب وصوب إلى الحجاز والأماكن المقدسة[2]. لأداء فريضة الحج، الواجبة على كل مسلم ما لم يعقه عائق من ضعف أو قلة مال، قال تعالى:"وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق"[3].

ويقتضي هذا العامل أيضا زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم،والمزارات الدينية الأخرى،كالمسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين،وقبور الصحابة والأولياء،ف ي كل من بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها، ويعد هذا العامل من أقوى البواعث على الرحلة، فهو مبعث الحنين في نفوس الرحالة على ارتياد البلد الحرام، فالحج من أهم الوشائج التي ربطت بين المشرق والمغرب، وعملت على توحيد الثقافة في سائر أنحاء البلاد الإسلامية[4]. وقد سجل النابهون من هؤلاء

[1] – نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، تق صلاح جرار، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1428هـ-2008م ،ص26.

[2]– نوال عبد الرحمان الشوابكة، المرجع السابق ،ص26.

[3] –القرآن الكريم، سورة الحج، الآية27.

[4]–نوال عبد الرحمان الشوابكة، المرجع السابق، ص27.

الحجاج شهاداتهم وأحاسيسهم وكذا الطرق والدروب التي مروا بها وسلكوها والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة[1].

جامع الأزهر[2]:الأزهر هو تلك المؤسسة الدينية الكبرى التي قامت لتكون جامعا ثم لم تلبث إن صارت جامعة وبقيت على مدى ألف عام وهي أعرق وأضخم جامعة في العالم الإسلامي احتضنت الباحثين في العلم من شتى أنحاء العالم حيث تولى التدريس فيها أعاظم الفقهاء والعلماء[3].

ولهذا شدت إليه الرحال من كل حدب وصوب، وبهذا نستطيع التعرف على الاهتمام الكبير الذي كان من طرف المغاربة.

الموقع:بعد عام من افتتاح الفاطميين لمصر كان جوهر الصقلي[4]قد أتم إنشاء القاهرة فكانت أول أعماله هو بناء الجامع الأزهر أول عمل معماري أقامه الفاطميون في مصر لا زال قائما لحد اليوم،حيث يقع في الجنوب الشرقي من مدينة القاهرة التي بناها جوهر الصقلي على مقربة من القصر الكبير الذي أنشأه المعز لدين الله الفاطمي رابع أمراء الدولة الفاطمية،كان موجودا حينذاك بين حي الديلم وحي الترك بالجنوب[5].

التسمية:سمي هذا الجامع عقب إنشائه بجامع القاهرة،باسم العاصمة الجديدة وضل معروفا بهذا الاسم زمنا طويلا وبعدها تحول اسمه إلى جامع الأزهر.

---

[1]– أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربية، جدة، دت، ص11.

[2] أنظر الملحق رقم 1.

[3] – إيمان لكمين، جامع الأزهر ودوره الثقافي والسياسي في الفترة المعاصرة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ معاصر، إشراف كربوعة سالم، جامعة بسكرة، 2016م، ص7.

[4]– هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله،ويعرف أيضا باسم جوهر الرومي وكان من أهم وأشهر قائد في التاريخ الفاطمي،فهو مؤسس مدينة القاهرة وأقام سلطان الفاطميين في الشرق وهو فاتح بلاد المغرب ومصر وفلسطين والشام والحجاز، وينتسب إلى الشيعة ولد في جزيرة صقلية 928هوتربى تربية عسكرية أيام حكم المنصور بالله الفاطمي،علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963م،ص ص9 –14 .

[5]–إيمان لكمين، المرجع السابق، ص7.

تاريخ إنشائه: كان البدء في إنشاء الجامع الأزهر في يوم السبت في جمادى الأولى سنة 359هـ، واكتمل بنائه في شهر رمضان سنة361هـ .

الغرض منه: كانت الحكمة الناصعة من إنشاء هذا الجامع بل هي أشد نصعا ووضوحا عن غيرها من المساجد، إذ دولة الفاطميين دولة الشيعة والجامع الأزهر هو أول مسجد أقامته الشيعة بمصر، فقيامه إذن رمز لسيادة هذه الدعوة الجديدة التي هي دعوة الشيعة كما كانت القاهرة المعزية رمزا لنصرة الدولة الجديدة وسيادتها، حيث كان ذلك هو الغرض من إنشاءه في أول الأمر، ولكن تقلب الدول أنهاه إلى هذه الحياة العلمية الخصبة وجعله أرفع جامعة إسلامية تاريخية، بإضافة إلى الناحية الدينية كان يجتمع فيه الخلفاء بالشعب ويوجهون ويأمرون ويتدارسون فيه المشاكل.

حيث كان جوهر الصقلي يجتمع فيه بالمسلمين ليعلن لهم الأوامر الصادرة من الحاكم بخصوص الشؤون التنظيمية لدولة الجديدة.

حيث كان الغرض من إنشاءه كان عدة أمور دينية وثقافية وتنظيمية إذ يعلن الحاكم الفاطمي فيه اتجاه الدولة الديني والسياسي[1]. ولهذه الأهمية الكبيرة التي كانت لدى الجامع الأزهر شد إليه الرحال أغلب الرحالة المغاربة نحو بلاد المشرق عموما وخاصة إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ومصر لسماع عن علمائها وفقهائها.

رحلة التجيبي السبتي: التجيبي السبتي هو القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي السبتي الإمام المحدث الرحال عالم الدين ولد التجيبي في مدينة سبتة سنة(670هـ/1272م)في عهد دولة بني مرين[2].كان السبب الأول لخروجه للرحلة هو أداء فريضة الحج فكان خروجه من بلاده حوالي سنة (695هـ/1296م)فدخل بجاية وروى بعض كتب ابن الأبار البلنسي وتحول منها إلى تونس في نفس السنة وأخذ عن شيخها ثم رحل إلى مصر فدخل الإسكندرية والقاهرة سنة

[1]-إيمان لكمين، المرجع السابق، 9.

[2]-أماني بنت سعيد الحربي، المرجع السابق،ص92.

مضطرون للهجرة إلى الحبشة تخلصا من الأذى الذي ألحقته بهم قريش حفاظا على دينهم. إلا أن دخول عدد من أفراد قبيلتي الأوس والخزرج في الإسلام قد غير الموازين لصالح المسلمين، وحدث انقلاب كبير في حياة الإسلام والمسلمين عندما بدأ المسلمون بالهجرة من مكة إلى -يثرب-التي تحول اسمها فيما بعد إلى المدينة المنورة، فانتقل الإسلام من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة وفسح المجال لتطبيق مبادئ الإسلام عمليا وبناء نواة الدولة الإسلامية[1].

الرحلة في صدر الإسلام:تطورت الرحلة في الإسلام في شكل فتوحات وبسط النفوذ الإسلامي، لنشر تعاليم هذا الدين السمح ولمحاربة الكفر، فكان امتداد الدولة الإسلامية إلى بلاد المغرب بحيث كان استيلاء المسلمين على مصر إيذانا بامتداد سلطانهم غربا صوب شمال إفريقية، فتوالت حملاتهم على هذه البلاد حتى دخل المغرب في كنف الدولة الإسلامية.

ففي عهد خلافة عثمان بن عفان أرسلت حملة عبد الله بن سعد بن أبي السرح عامل مصر في ذلك الوقت فاستطاعت أن توقع الهزيمة بجيوش قرطاج، لكن تم الصلح بين الطرفين بعد أن غنم المسلمون غنائم كثيرة سنة(27هـ/647م)[2]، وكانت هذه الحملة الأولى مجرد اختبار لمدى قوة دفاعات البيزنطيين والتعرف على طبيعة المنطقة واستكشاف للحملات الموالية[3].

وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان جهز جيشا ضخما من عشرة آلاف مقاتل التقى مع البيزنطيين، توغل الجيش الإسلامي في افريقية، وفي عام(50 هـ/666م) أعطيت قيادة الجيش العربي لعبقة بن نافع الفهري[4].رأى عقبة بن نافع في بداية ولايته على افريقية أن يعمل على توطيد نفوذ المسلمين فيها، وذلك بأن يقيم لهم فيها مدينة عربية تكون بمثابة قاعدة عسكرية ثابتة في تلك البلاد المغربية، وعلى هذا الأساس اختط مدينة القيروان سنة(50هـ/666م)، واختار لها مكانا

---

[1]- بشير رمضان التليسي و جمال الذويب، المرجع السابق، ص49.

[2]- شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 2006، ص65.

[3]- أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، مكتبة نبراس الصف التاريخية، دط، دب دت، ص35.

[4]- شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص65.

(696هـ/1297م) ودون تفاصيل ما شاهده بمصر في رحلته،ثم خرج ميناء عيذاب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج سنة (696هـ/1297م)[1].

بالإضافة إلى الدافع العلمي، كان الرحالة يرتحلون بغرض الاستزادة من العلم في منطقة من العالم اشتهرت بعلم من العلوم أو بشتى منها، فكانوا يقطعون مسافات طويلة لتحقيق هذا الغرض وكذلك رحلات البحوث العلمية. التي رحل فيها الناس يطلبون العلم من مكان إلى آخر، فهذا بغدادي يشد الرحال إلى دمشق، وهذا دمشقي يقصد بخارى، وهذا تونسي يرحل إلى القاهرة، وهذا قاهري يطلب العلم في فاس، وهكذا دواليك.

وهذه الرحلة في طلب العلم كانت أحرى بأن تدون أخبارها، وتقي آثارها من أخبار التجار وأصحاب الأعمال، وعلى كل فمن هذه وتلك وصلت إلينا أخبار وأخبار هي من مفاخر التراث العربي[2].

وهذا ما أبان عنه العلامة إبن خلدون(ت808هـ)،في فصل خاص مختصر من مقدمته حيث ذكر:"أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاءاً،وتارة محاكاةً وتلقيناً بالمباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد إستحكاما وأقوى رسوخاً "[3].

-الدافع الاقتصادي: كان الإنسان منذ أقدم العصور وهو يرتحل وينتقل من مكان إلى آخر بحثا عن الكلأ، سواء له أو لماشيته، يحترف أيضا التجارة وتبادل السلع، أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلاد المسافر، وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص واليسر والوفرة أو للعمل[4]. وإذا أضفنا إلى ما تقدم الرحلة من أجل

---

[1]- أماني بنت سعيد الحربي ،ص93.

[2]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص19.

[3]-عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة ، تح سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،لبنان،2001م/1421هـ، ص ص744-745.

[4]-فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص20.

التجارة التي اتسع نطاقها عند المسلمين في العصور الوسطى وكم يكتف الرحالة بالارتحال في البر وفوق أديم الصحراء،بل ولم يثنهم هول البحر من ركوبه والإبحار على شواطئه وموانئه. بل ظهر منهم المعلمون المهرة والتجار الحاذقون. وقد دفعت الأرباح التجارية الهائلة التي كان يحصل عليها التجار المسلمون إلى المخاطرة في البر والبحر،فقد عرفوا سواحل إفريقيا الشرقية ومناطقها الوسطى النائية،والهند والصين.وجابت قوافلهم في كثير من بقاع العالم[1].

-الدافع السياسي:يتجلى هذا الدافع في الوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى، لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام، أو تمهيد الفتح أو غزو[2].كانت السفارات لا تنقطع بين الدول العربية وما جاورها من الدول غير العربية، بقصد الصلح وفك الأسرى، أو لتصفية الأجواء السياسية، وقد تكون وليدة علاقات دبلوماسية أو تقاليد لربط العلاقات السياسية، وليس هذا وحسب[3]. فقد لعبت دورا ملحوظا في توسيع نطاق المعلومات الجغرافية وكان اختيار السفراء يتركز أساسا على ذوي الثقافة العالية، والحنكة،والذكاء، والدهاء والفطنة، وكان عاملا مهما من العوامل التي تساعد على إنجاز المساعي التي يقومون بها، إلى جانب التقارب الثقافي بين الطرفين من خلال إعجاب الملوك بثقافة من يفد إليهم من هؤلاء السفراء[4].

-الدافع السياحي والثقافي:تأتي هذه الدوافع من نداء النفس، وحب التنقل والمغامرة وحب التطلع ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، واكتساب الخبرة بالمسالك والممالك والطبائع،وقد تكون للتعرف على المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج والكهوف أو العجائب والغرائب.

---

[1]-بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004م، ص241.

[2]- فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص19.

[3]- نوال عبد الرحمان شوابكة، المرجع السابق، ص40.

[4]- نفسه، ص41.

–الدافع الصحي:يتمثل الدافع الصحي في السفر للعلاج أو الاستشفاء أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر، كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها. وقد يكون هربا من وباء أو طاعون أو تلوث أصاب المنطقة التي يقطن فيها[1].

قد لا نعدم أن نجد أسبابا أخرى للارتحال كالسخط على الأحوال وضيق العيش أو الهروب من عقوبة. ومن خلال ما ذكرناه سابقا نستطيع تلخيص جملة هذه الدوافع في ما يلي:

- دوافع دينية وعلمية تمثلت في الرحلة إلى الحج وزيارة الأماكن المقدسة، وطلب العلم.
- دافع اقتصادي بغرض التجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة.
- دوافع سياسية كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك وحكام دول أخرى، لمناقشة شؤون الحرب والسلام.
- أما عن الدافع السياحي والثقافي فيتمثل في حب التنقل والمغامرة ومعرفة المسالك والممالك.
- الدافع الصحي كالسفر للعلاج أو الاستشفاء أو هربا من مرض أو وباء يسود المنطقة.

ثالثاً: تطور الرحلة وأهميتها:

تطور الرحلة: لقد عرف العرب منذ القديم مرونتهم في مسايرة الحضارات المختلفة، وأنهم ذو خيال خصب وحيوية فطنة، ومن هذا المنطلق استطاعوا أن يربطوا علاقات اقتصادية في أقاصي الأقطار في الصين وبعض البقاع من روسيا، ومن مجاهيل إفريقيا وكذا بلاد المغرب والأندلس. بحيث لم تقف المشقة وقلة الإمكانيات عائق أمام ممارسة العرب لفن الرحلات في شتى أنحاء العالم.

الرحلة في عصر النبوة: مرت المرحلة العلنية من الدعوة الإسلامية بالكثير من الصعاب والتي واجه فيها المسلمون جميع أنواع الاضطهاد والعذاب، عمد المشركون إلى التشكيك في القدرات العقلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وإيذائه بالكلام وكذا التعذيب الجسدي للمسلمين وحصارهم في شعاب مكة لمدة ثلاث سنوات وقاطعوهم مقاطعة تامة[2]، لذلك وجد المسلمون أنفسهم أنهم

[1]– فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص2.

[2]–بشير رمضان التليسي وجمال الذويب،نفس المرجع السابق،ص40.

استراتيجيا هاما، إذ جعلها بعيدة عن الساحل خوفا من غارات البيزنطيين، وبعيدا عن جوف الصحراء خوفا من غارات البربر[1].

لقد جعل العرب للمغرب نوعا من الوحدة السياسية تقودها القيروان. تلك القاعدة الإسلامية التي صارت قبلة سكان المغرب جميعهم يتجهون إليها طلبا للعلم ومشاركة في يسرها ورخائها[2].ثم أخذ الناس في بناء الدور والمساكن والمساجد، وعمرت وشد الناس إليها المطايا من كل أفق.

وكان عقبة خير والي وخير أمير مستجاب الدعوة.[3]وبذلك أصبحت القيروان أولى المراكز العلمية في المغرب الإسلامي حيث قصدها طلبة العلم من داخل البلاد ومن البلدان المجاورة لها، واستقدم لها العلماء والفقهاء ورجال الدعوة من المشرق حتى صارت أهم منارة علمية إسلامية في بلاد المغرب.

جامع عقبة بن نافع الفهري:صحب بناء القيروان بناء مسجد عقبة بن نافع، الذي وضع أساسه الفاتحون وفي مقدمتهم عقبة بن نافع حوالي(50هـ/666م). ولقد قام بالتدريس في هذا الجامع كبار التابعين منهم-عكرمة-المحدث مولى بن عباس،وقد اشترك هذا الأخير في التدريس بجامع عقبة إلى جانب زميله سلمة بن سعد الذي اختص بنشر المذهب الإباضي في حين نشر عكرمة المذهب الصفري منذ أوائل القرن الثاني الهجري، ومن خلال حلقة عكرمة بجامع عقبة أخذ الكثير من أبناء التابعين بالقيروان عنه علم الحديث والتفسير.كانت وظيفة المسجد الأعظم بالقيروان متعددة منها حلقات العلم والتدريس التي كانت تقام من طرف كبار العلماء كسحنون بن سعي، ويحيى بن عمر وغيرهما، بل ربما كان من أخص وظائفه أن كان المركز الكبير للحياة الاجتماعية

---

[1]- احمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص39

[2]- محمود السيد، الفتوحات الإسلامية، مؤسسات شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004م، ص67

[3]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تح ج.س كولان ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ص21.

والسياسية، أيضا فيه يتم التقاضي بين الناس[1].وهكذا كان مسجد عقبة بن نافع الفهري النواة الأولى لثقافة عربية إسلامية منظمة المعالم محددة الاتجاهات الثقافية.

شعر القادة الفاتحون لبلاد المغرب بأهمية وجود من يعلم أهل المغرب الدين الإسلامي بعلومه المختلفة، لاسيما لما اتسعت البقاع المفتوحة، فأصبح من الضروري بعث العلماء والقراء إلى البلاد المفتوحة لتعليم أهلها أمور الدين. وأبرز من جسد ذلك بشكل واضح ورسمي، الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز في بعثته إلى بلاد المغرب .

بعثة عمر بن عبد العزيز: عرفت في التاريخ المغربي بالبعثة العمرية، وتأتي في سياق السياسة الرشيدة التي اتبعها عمر بن العزيز إبان خلافته، واهتمامه بشؤون الرعية، وخاصة المسلمون الجدد.

وتبدأ قصة البعثة بتعيين واختيار إسماعيل ابن عبد الله ابن أبي المهاجر الدينار بلاد المغرب سنة(100هـ) ليدعوا من تبقى من البربر إلى دين الله.

فلم يكن إسماعيل واليا فحسب بل كان داعية للإسلام، وبعد هذا التعيين المبارك أتبعه بإرسال 10علماء من العلماء والتابعين وأهل العلم والفضل[2]. كان على رأسهم التابعي الجليل عبد الله بن يزيد المعافري، وأول أفراد هذه البعثة سعيد بن مسعود التجيبي، إضافة إلى إسماعيل بن عبيد الأنصاري أبي المهاجر المخزومي، أبو الجهم عبد الرحمان بن رافع التنوخي، حيان بن أبي جبلة القرشي، أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي، أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي، أبو سعيد جعثل بن عاهان أو هامان بن عمير الرعيني وأخيرا العالم الجليل طلق بن جابان أو جيعان الفارسي[3].

---

[1]– بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري–العاشر ميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2003م، ص75.

[2]– جمال الدين أبو الفرج الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1405هـ/1985م، ص107.

[3]– أبي البكر المالكي، رياض النفوس، تح بشير البكوش، ج1، ط2، دار الغرب، بيروت، 1994م، ص ص102-117.

أهداف بعثة عمر بن عبد العزيز التعليمية والتربوية: وضع الخليفة عمر بن عبد العزيز خطة تعليمي تربوية لنشر الإسلام في بلاد،كان أهم أهدافها:

- اختيار العلماء ربانيين اشتهروا بالعلم والفقه والدعوة والتجرد للإشراف على التربية والتعليم.
- وضع خطة بعيدة المدى لنشر تعاليم اللغة العربية، ومحو الأمية في أوساط القبائل البربرية، حتى يسهل عليها بعد ذلك فهم القرآن والسنة والتعامل معها[1].
- الاهتمام بربط الناس بالقرآن الكريم، ويكون ذلك بفتح الكتاتيب.
- دعوة من بقي من البربر إلى الإسلام وإرشادهم إلى الشريعة السمحة وتعاليمه العالية.
- تعليم الناس الحلال والحرام.
- البلاغ الواضح البين لعقائد أهل السنة[2].

عوامل نجاح البعثة ولآثارها العلمية والدينية: لعل من أسباب نجاح هذه البعثة العلمية والدينية في بلاد المغرب الإسلامي ما يلي:

– الحالة السياسية والأمنية المستقرة التي تميزت بهدوء نسبي شكل حلقة من حلقات الاستقرار المعرفي العلمي[3]. ومع قدوم تلك البعثة التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز لأنه بجهود أفرادها دخل من بقي من المغاربة إلى الإسلام وبهم فتحت الكتاتيب أبوابها وتلقى الناس ثقافة منظمة في ظروف سياسية واجتماعية جيدة[4].

---

[1]– محمد علي الصلابي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ج1، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1346هـ-2003م، ص314.

[2]– عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، تح علي الشابي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1395هـ/1975م ، ص22.

[3] –محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص315.

[4] –بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص70.

– الحالة النفسية الفكرية لأفراد البعثة العلمية، مما ولد الدافع لنشر الدعوة بكل صدق وتضحية[1].

وقد أصبح إسلام المغاربة أكثر رسوخا بفضل تلك البعثة الكريمة، إذ أن علمهم لم ينحصر في تعليم القرآن الكريم وبيان الشريعة بل تجاوزها إلى تعليم القراءة والكتابة وتدريس اللغة وقواعدها.

–كان للمدرسة الدينية الثقافية التي وضع أساسها التابعون العشرة أن تخرج الرعيل الأول من العلماء القيروانيين أمثال عبد الله بن غانم، والبهلول بن راشد، وعلي زياد وغيرهم.

–كانت البعثة الدينية الثقافية التي بعث بها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بعيدة كل البعد عن التيارات السياسية والمذهبية.

– البعثة العمرية كانت تلقن الإسلام خاليا من المذهبية أسوة نسبة للرسول صلى الله عليه وسلم الحالة السلوكية لأصحاب هذه البعثة الذين كانوا على يقين أن نشر الدين الإسلامي يكون بالمثابرة والاجتهاد وصيانة الفعل قبل القول[2].

– قيمة تعاليم الإسلام في حد ذاتها، وعدالة أحكامه، وسماحة نصوصه، وجمالية أخلاقه. يعتبر هذا شاهدا على مدى انتشار العلوم الدينية، وعلى مدى اتساع الحركة العلمية بالقيروان.

أهمية الرحلة: أدت الرحلة دورا كبيرا ومهما في تنمية المجتمع العربي وتطوره في أغلب المجالات خاصة العلمية ومنها الأدبية.كما اهتم الإسلام بالعلم عموما، وحث على السعي في طلبه وفي ظله ازدهرت سائر أنواع المعرفة بصفة خاصة، وهذه الرحلات تفرض عليهم معرفة المسالك والدروب المختلفة.

إن أهمية الرحلات تكمن في قيمتها العلمية والفنية والتاريخية، فالقيمة العلمية تمثلت بتزويد أهل التاريخ والجغرافية والآثار والأدب وغيرهم، بمعلومات قيمة عن وصف المدن والطرق والعمران والبلدان وأخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم والحوادث الغريبة، بل إن الرحالة أنفسهم يحصلون على

[1] –محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص315.

[2] – نوال عبد الرحمان الشوابكة، المرجع السابق، ص53.

علم وافر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين، في التربية وأساليب التعليم والتهذيب، نظرا لما يصادفهم من المصاعب، وتعدد من يقابلونه وما يؤكد ذلك أن الراحل حين يعود إلى بلده يعمل في التدريس، وكان يكلف بالقضاء ومهام أخرى.

أما عن قيمة الرحلة في الجانب التاريخي والجانب الأدبي والجانب الجغرافي والجانب الوثائقي، ونشر العلم والتبادل الثقافي بين الأمم. فالرواية الصادقة والملاحظة الدقيقة والالتقاء بالعلماء والمشايخ والأخذ عنهم، له أثر كبير في الوثوق بالرحالة، حين يتحدث عن مشاهداته[1]. ويذكر الباحث الحسن الشاهدي في كتابه أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني:"كان مقياس نجاح الرحلة وتوفيق صاحبها مرهونا بما استطاع جمعه في غيبته عن بلده من معلومات ونصوص وكتب وإجازات"[2].

[1]- نوال عبد الرحمان الشوابكة، المرجع السابق ، ص54.

[2]- الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج2، دب، دت، ص536.

المبحث الثاني:

مظاهر الرحلات الجغرافية بين قطري العالم الإسلامي مشرقه ومغربه.

أولاً: دوافع الرحلات المغربية.

ثانياً: نماذج من رحلات المغاربة إلى المشرق.

ثالثاً: نماذج من المرتحلين من المشرق إلى المغرب.

أولاً: دوافع الرحلات المغاربية:

إن موضوع الرحلات لم يكن جديدا على المغاربة وهو بتأكيد لم يكن طارئا على العرب بشكل عام، فلقد مارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها قبل الإسلام، لكن الإسلام وسع بدوره آفاق الرحلة، وزاد من دوافعها حتى بلغت ذروتها[1]. فأصبحت في نظر الكثيرين مسألة لابد منها في طلب العلم والاستفادة من العلماء، بزيارة الأمصار الإسلامية التي عرفت بتبحرها في العلوم المختلفة وهذا وأشار إليه أبن خلدون (ت808هـ-1406م)، في مقدمته المشهورة المذكورة سابقا في الدافع العلمي.

لعل الذي ساعد على تنمية اهتمام المغاربة بالرحلات وزيادة الرغبة على القيام بها هو الموقع الجغرافي ببعدها عن الشرق والحجاز من جهة وإطلاله على القارة الأوروبية من جهة أخرى، ولهذا إنتضمت رحلات المغاربة الأقطار المختلفة شرقا وغربا، بلادا إسلامية وغير إسلامية، وإن كنا وجدنا أن الحجاز يستقطب أكثر المغاربة ويستهويهم ويجذبهم نحوه[2].فلقد ذكر ابن خلدون في المقدمة بأن رحلة المغاربة "كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار علم،ومنها خرج إلى العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة"[3] وهكذا تتابعت أفواج الرحالة المغاربة نحو الحجاز وتكاثرت وفودهم على هذا البلد فالحجاز بلد مقدس تحتضن تربته أشرف الخلق جميعهم.

ومن أهم الدوافع التي دفعت الرحالة المغاربة للرحلة إلى المشرق هو الدافع الديني والعلمي اللذان تمحورا على ما يلي:

الدافع الديني: الرحلة لأداء فريضة الحج، كانت من أهم الأسباب التي دفعت بالمغاربة لزيارة الحجاز والمشرق الإسلامي وعرفت هذه الرحلات بالرحلات الحجازية[4].

---

[1]- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، عالم المعرفة،الكويت، 1989، ص13.

[2]- الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص48.

[3] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص805.

[4] - أماني بنت سعيد الحربي، المرجع السابق، ص50.

فكانوا يمرون بمصر بوصفها من أهم طرق الحج الرئيسية ومن هنا يهتم صاحب الرحلة بتدوين مشاهداته من أول خروجه حتى عودته إلى وطنه.فدونوا ما شاهدوه على الدروب من وصف الطرق سواء بحرية أو برية وقاموا بقياس المسافات بين كل بلاد وأخرى، ودونوا أسماء الأماكن التي تحط فيها القوافل والأحداث التي تحدث أثناء رحلاتهم، كانت الإسكندرية أول محطة تحط بها قوافل المغاربة القادمة عن طريق البحر أو الصحراء ومنها إلى القاهرة انتظارا لخروج المحمل إلى الحجاز، وكان الرحالة المغاربة يقومون بزيارة قبور الأنبياء والصالحين والأولياء ومشاهدهم، فكانوا يصفون تلك المشاهد وصفا معماريا دقيقا، حيث لا تخلوا رحلة مغربية إلى بلاد الشرق من وصف القبور والمشاهد فامتاز وصفهم بدقة الملاحظة وخاصة مشاهد أهل البيت والصحابة والتابعين التي زخرت بها بلاد المشرق الإسلامي[1].

وتحتل الرحلة الحجازية إلى الأماكن المقدسة المرتبة الأولى بين الرّحل، لأن هذه الأماكن تتمنع بمكانة عالية عند المسلمين في كل الأصقاع، فالحج من أهم البواعث للرحلة لما كان يتمتع به المجتمع المغربي المسلم من تمسك بالقيم الروحية، فكان أقصى أماني المسلم أن تتاح له فرصة زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان يتحمل المشاق والأخطار في الطريق،إضافة إلى مشاعر الغربة والبعد عن الأهل والأصحاب وكل ذلك عن رغبة وطيب خاطر[2].

الدافع العلمي:وكان ذلك بغرض أخذ العلم والاستزادة منه في منطقة أخرى من العالم والتي ذاع صيت أبنائها ي مختلف مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة وغيرها. وتذكر الحديث والسيرة، وكان من الفقهاء والعلماء من يقطع القفار ويعبر الأنهار ويتكبد جميع المشاق والمصائب طلبا لحديث نبوي سمع به أو لمجرد التحقق من كلمة فيه[3].

[1]– أماني بنت سعيد الحربي، المرجع السابق، ص50.

[2]– علي إبراهيم كردي، أدب الرّحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013، ص12.

[3]– فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص19.

كان الرحالة المغاربة يتصلون بالمراكز الثقافية العلمية بمصر، ولقاء علمائها وشيوخها وأخذ العلوم الشرعية منهم، وسماع الروايات وحفظ الأسانيد والحصول على الإجازات والإطلاع على المصنفات العلمية والأدبية في التفسير والحديث والأفق والشعر[1].

إن الدعوة الإسلامية شجعت على طلب العلم وحرصت عليه وقدرت العلماء وجعلتهم ورثة الأنبياء ودعا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الناس إلى طلب العلم فأقبل الرجال والنساء على طلب العلم أينما كان ثقة وإيمانا بأن من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وقد طلبوا العلم في الدين وغيره، وقد أصبح من عادة طالبي العلم أن يسيحوا في البلاد للقاء الشيوخ ومجالسة العلماء أو الإطلاع على الكتب وزيارة الأولياء، منهم من كان إذا حصل على القسط الوافر من العلم فإنه يطوف بالأقطار الإسلامية ليلقى العلماء ويعلم ويدعوا ويفقه في تلبية أيضا للدعوة الكريمة"خيركم من تعلم العلم وعلمه"[2]رواه البخاري في صحيحه، لذلك اندفع محبوا العلم وطلبوه، كأنهم يندفعون إلى الجهاد أو الشهادة ينفقون ما يقدرون عليه من مال ووقت وجهد لأجل تحصيل العلم ولم يكن للعلم من سبيل إلا السفر، وهناك الرحلة في طلب العلم وهذه الرحلة تتعلق بسبب أو بآخر بالناحية الدينية، لأن الإسلام حث على طلب العلم، وفرضه على كل مسلم ومسلمة، لذا فقد إهتم طلبة العلم منذ القديم بالرحلة فقطعوا الصحاري والقفار بحثا عن فائدة، أو سماعا لحديث، أو رجاء لقاء عالم، حتى أصبحت الرحلة فيما بعد شرطا لازما للعالم عموما،ولعالم الحديث خصوصا، فاعتبرت الرحلة من شروط اكتمال المعارف ووسيلة للقاء الشيوخ يشد الرحال إليهم وصارت مكانة العالم تقاس باتساع رحلته وكثرة الشيوخ الذين أخذ عنه ولما كان المغرب معروفا منذ القديم بتعدد المدارس وكثرة الخريجين فقد كان الكثير يطمحون لاستكمال دراسته بالمعاهد العلمية الكبرى[3] .

[1]– أماني بنت سعيد الحربي، المرجع السابق، ص50.

[2]– فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص32.

[3] – علي إبراهيم الكردي ،المرجع السابق، ص13.

بحواضر المغرب الإسلامي و الأندلس والمشرق وقد استقر بعضهم بتلك البلاد ولم يعودوا إلى أوطانهم حفلت كتب التراجم بأسمائهم[1].

إن الرحلات التي يقوم بها الرحالة في المشرق تمثل أهم المظاهر الحضارية في مختلف العصور الإسلامية، وذلك بحكم أن الشرق يضم الأماكن المقدسة والمراكز الثقافية العلمية ولاسيما الحجاز بحيث أن الرحلة إلى الحج تأتي في مقدمة الرحلات التي دفعت بالمسلمين كل فج عميق، وبعد أداء فريضة الحج كان الرحالة يتجهون إلى مختلف الحواضر الإسلامية لطلب اعلم أو التجارة أو الاستطلاع والاختلاط مع الشعوب ولم تقف الخلافات السياسية في أي وقت من الأوقات حائلا أمام مثل هذه الرحلات.

ثانياً: نماذج من رحلات المغاربة إلى المشرق.

رحلة ابن رشيد الفهري:

مولده ونسبه:هو محمد بن محمد بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد الفهري، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن رشيد[2] ولد ابن رشيد في سبتة[3] في شهر رمضان سنة(657هـ-1257م)، ويذكر المقري ت(1041هـ-1631م)، أن إبن رشيد ولد سنة (657هـ-1259م) أو في سنة (559هـ-1261)، يتصل نسب ابن رشيد بالفهريين. وكان هؤلاء

[1]- علي إبراهيم الكردي، المرجع السابق، ص14.

[2]-أبو العباس ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص289.

[3]- **سبتة:**هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب مابين البر والجزيرة، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية على ما قيل لأنها ضاربة في البحر داخلة كدخول كف زند، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص17.

الفهريون يسكنون في الأندلس جماعات كبيرة مشهورة، إذ نجد لها عبر التاريخ ذكرا متصلا وصيتا متواترا، وكانت بيوتاتهم تعرف بالعلم والمروءة والوجاهة والنباهة والعدد والثورة[1].

سيرته: تمتع ابن رشيد بعدد من الصفات المحمودة والتي اتفق المؤرخون في وصفها،"فهو الخطيب، المحدث، المتبحر في علوم الرواية والإسناد، فريد عصره، عالي الإسناد صحيح النقل، أصيل الضبط تام العناية بصناعة الحديث، قيما عليها بصيرا بها محققا فيها، ذاكرا فيها للرجال، جامع للكتب، محافظا على الطريقة، مضطلعا بغيرها من العربية واللغة والعروض، فقيها أصيل النظر ذاكرا للتفسير، حافظا للأخبار والتواريخ، بارع الخط، حسن الخلق،كثير التواضع متجملا،كلف الخاصة والعامة"[2].

كما كان ابن رشيد صادقا في عهوده، أمينا، كريم العشرة، بارا بأصدقائه، جامعا للكثير من الفضائل والصفات الحسنة[3].وقد تمتع ابن رشيد بسرعة البديهة وبفصاحة، ومما يدل على ذلك ماورد في كتب المؤرخين من موقف تعرض له عندما كان طيبا بالجامع الأعظم بغرناطة[4].

مسيرته العلمية:كانت مدينة سبتة في فترة ازدهارها العلمي تضم عدد من مشاهير العلم سواء من المغرب أو الأندلس، فنشأ ابن رشيد في هذه المدينة العلمية وتلقى العلم فيها على يد أشهر علمائها أبو الحسن بن أبي الربيع[5]، الذي برع في علوم اللسان[1]، فأخذ عنه ابن رشيد ثقافته في اللغة العربية

---

[1]– أبي عبد الله محمد بن عامر، رحلة إبن رشيد السبتي،دراسة وتحليل د أحمد حدادي، مطبعة إليت، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية1424هـ/2003م، ص60.

[2] – جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1427هـ-2006م،175.

[3] –المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح مصطفى السقا، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ-1940م، ص348.

[4]– نفسه، ص351.

[5]– هو عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أبي الربيع القرشي الملقب بأبي الحسن، ولد في اشبيلية(599هـ/1202م)، وتوفي16صفر688هـ، أخذ عن مجموعة من العلماء وكان عالما في الفقه وأصوله والقراءات والحساب والفرائض وإماما في النحو، أصله من قرطبة، وأخذ يتنقل في مدن الأندلس حتى استقر في سبتة التي توفى بها،أبو العباس ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، ج3، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1392هـ-1982م، ص70.

وقرأ عليه بالقراءات السبع بمضمن كتاب التيسير، وقيد عنه تقييدا مفيدا على كتاب سيبويه. وقرأ أيضا الكتاب العزيز على العالم علي بن محمد الكتامي[2] بالمقارئ السبعة.

وأخذ بالمرية[3] في أثناء مروره بها عن الخطيب محمد بن الصائغ والوزير الأديب أحمد بن محمد بن سيطور ونقل عنه من شعره[4]، ورحل فأخذ ببجاية عن الحافظ أبي محمد عبد العزيز بن عمر القيسي، وبتونس عن قاضي الجماعة بها أبا القاسم بن أبي بكر بن زيتون[5]، ورحل ابن رشيد إلى المشرق فأخذ العلم عن عدد من أشهر العلماء نذكر منهم حسب المكان:

– الإسكندرية:أخذ عن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل بن فارس التميمي والصالح العدل أبي عبد الله ابن عبد الخالق ابن طرخان القرشي.

– القاهرة:أخذ عن الحافظ أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، والأديب الصوفي شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الأنصاري،ابن الخيمي، نزيل إيوان الحسين رضي الله عنه من القاهرة.

– دمشق:ولقي فيها شيخ الشيوخ عز الدين أبي العز عبد الله بن علي الحراني، وأبو الفرج عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الملك المقدسي.

---

[1]– **علم اللسان**:هو علم يدرس ألفاظ اللغة وقوافيها والألفاظ التي تتكون منها اللغة نوعان مفردة ومركبة والمفردة هي تدل على أعام أو أجناس وأنواع، أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، تح علي بوملحم، ط1، دار ومكتبة الهلال، 1996م، 98.

[2]– **العالم علي الكتامي**: هو من علماء القراءات، ونحوي ماهر، عالما بعلم الكلام وأحوال الفقه، وأصله من تلمسان انتقل منها إلى سبتة،وفيها التقى الرحالة ابن رشيد وسمع عليه النحو، توفي 680هـ، السيوطي، المصدر السابق، ص170.

[3]– **المرية**:مدينة إسلامية البناء محدثة، أنشأها الخليفة الرحمان الناصر في سنة(955م)، وقدر لهذه المدينة أن تلعب دورا هاما في تاريخ الأندلس، فقد كانت أعظم قواعد الأسطول الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف، محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها(484-344هـ/955-1091م)، تصدير السيد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1981م، ص1.

[4]– ابن القاضي،درة الحجال ،ج3، المصدر السابق، ص290.

[5]– المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2،المصدر السابق، ص348.

– مكة المكرمة والمدينة المنورة: وأخذ فيها عن العالم جار الله أبو اليمن بن عساكر لقبه بباب الصف تجاه الكعبة المعظمة، بالمدينة أخذ عن إمام النحو عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصري وغيرهم من العلماء الذين أخذ عنهم في إنشاء رحلته وقيدهم في رحلته[1].

رحلاته: لما بلغ ابن رشيد السادسة والعشرون من عمره تاقت نفسه لأداء فريضة الحج وملاقاة علماء بلاد المشرق، ليكمل على أيديهم اختصاصه في علم الحديث، ويحصل منهم على أعالي الأسانيد فاستعد للرحيل[2]، وفي المرية التقى بصاحبه الوزير محمد ابن الحكيم سنة(683هـ-1284م)، وكان قصدهما واحد فترافقا في السفر ودخلا إفريقية[3]ومصر والشام، فأخذ ابن رشيد العلم من علماء المدن ممن لقي من علماء[4] الحجاز[5].وبعد أداء فريضة الحج عاد سنة(645هـ-1285م)إلى الإسكندرية ومنها إلى تونس، وكان رفيقه أبو عبد الله ابن الحكم رجع قبله وقد أخذ عليه عهد إن مر بالأندلس، أن يزوره قبل عودته إلى أهله[6]. فلم يقصد أهله ووطنه في ذلك، بل عزم ابن الحكم، وأخذ العلم من مشاهيرها وبعد ذهابه إلى رندة، قصد الجزيرة الخضراء[7]ومنها أبحر إلى سبتة ودخل وطنه يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة(686هـ-1287)بعد أن تغيب عنها ثلاث سنوات قضاها في الأخذ عن العلماء والبحث عنهم، وتصدر بعد ذلك للإقراء ببلده وبدأ صيته ينتشر وأقبل على تأليف الكتب المفيدة خصوصا في العلم الذي تخصص فيه وهو علم الحديث[8].

---

[1]-المقري،أزهار الرياض،ج2، المصدر السابق، ص349.

[2]- أماني سعيد الحربي، المرجع السابق، ص78.

[3]– **إفريقية**:وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس والجزيرتان في شماليها، في صقلية منحرفة إلى الشرق والأندلس منحرفة عنها إلى جهة الغرب، ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج1، ص228.

[4]- ابن القاضي،درة الحجال،ج3، المصدر السابق، ص289.

[5] –**الحجاز**: جبل ممتد حالبي الغور غور تهامة ونجد فكأنه منع كل واحد منها أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص218.

[6] –عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، د ت، بيروت، ص7.

[7] –**الجزيرة الخضراء**:مدينة مشهورة بالأندلس،قبالتها من البر بلاد البربر سبتة، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة،ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضا، ياقوت الحموي،المصدر السابق، ج2، ص218.

[8]- أماني سعيد الحربي، المرجع السابق،ص 79.

فلما لم يعرف مقدار ابن رشيد في بلده سبتة، كتب إليه رفيقه أبو عبد الله ابن الحكيم(ت807) لما علم بحاله يستدعيه إلى حضرة غرناطة ويعده بكل مأمول فلبى دعوته وانتقل إلى غرناطة حيث قدم للخطبة والصلاة بجامعها الأعظم، ثم لما توفي العالم أبو جعفر بن الزبير خلفه ابن رشيد في القضاء[1].

وبقي ابن رشيد على هذه الحال إلى أن وقع اغتيال رفيقه الوزير ابن الحكيم سنة(708هـ-1309م) فزعم الرحيل إلى المغرب[2] بعد أن تعرض إلى موقف إساءة من بعض السفهاء ضاق به صدره، وفي ذلك يقول ابن الخطيب:"تعرض إليه قوم، يوم قتل صديقه أبي عبد الحكيم بإذاية قبيحة، وأسمع كل شارق من القول على ألسنة زعانفة فجر وترهم القتيل، فتخلص ولا تسل كيف، وأزمع الرحيل فلم يلبث بعد ذلك"[3]، فارتحل ابن رشيد في أواخر سنة(707هـ-1309م)إلى فاس، فتلقاه أهلها وملكها بالبر والإكرام وتصدر للدرس بها، ووفدت عليه الفقهاء والمتفقهون من جميع المغرب، ثم شغرت وظيفة بمراكش من وظائف العلم والخطابة فتولاها لمدة سنة، ومات له معظم أولاده بسبب وباء وقع بها فضاق صدره[4] ورحل عنها إلى مدينة فاس وفي ذلك يقول ابن القاضي ت(1025هـ-1616م):"ثم استدعاه السلطان[5]، إلى حضرة فاس فوردها وصار من خواص السلطان، وأقام على ذلك إلى أن توفي بفاس[6].

مؤلفاته: لم يقتصر دور ابن رشيد على التدريس سواء كان ذلك بالجامع الأعظم بغرناطة والتدريس سواء في فاس أو مراكش أو تولي القضاء أو الإمامة أو الرحلة والأخذ عن العلماء، ولكنه ألف العديد

---

[1]- المقري، أزهار الرياض،ج2، المصدر السابق، ص35.

[2]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص8.

[3] -لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 3، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1397هـ-1977، ص142.

[4]- شمس الدين الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام،اعتنى به مازن بن سالم باوزير، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ/1998م، ص215.

[5]- والسلطان الذي عاش ابن رشيد في كنفه، هو أبو سعيد المريني الأكبر ابن السلطان يعقوب المنصور المريني، وكان معروفا بحبه للعلم والعلماء وتعظيمهم واحترامهم وهو الذي بنى مدرسة العطارين بفاس، وغيرها، عبد الله كنون، المرجع السابق، ص11.

[6]- ابن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ص291.

من الكتب في مختلف العلوم، فأثر بذلك ابن رشيد بإنتاجه العلمي في ميادين العلم والمعرفة نذكر منها:

أ–النحو: "تقييد على كتاب سيبويه"[1]، "تلخيص كتاب القوانين في النحو".

ب–البلاغة:"شرح التجنيس لحازم بن حازم الاشبيلي"،"حكم الاستعارة"، "الإضاءات والإنارات في البديع".

ج–العروض:"وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي"، "جزء مختصر العروض".

د–التراجم:"ترجمان التراجم على أبواب البخاري"، "وله شروح وتعليقات على كتب الضبي إبن الأبار".

هـ–الأسانيد:"السنن الآبين في السند المعنعن"، "مسألة العنعنة والمحاكمة بين الإمامين".

و–الفقه:"جزء فيه حكم رؤية هلال شوال ورمضان"، "رحلته المسماة(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة)"[2].

مضمون الرحلة: زخرت رحلة ابن رشيد كانت بأسماء العلماء الذين التقى بهم أو سمع عنهم فرحلته هي رحلة علمية في المقام الأول، حيث نجد ابن رشيد يذكر لنا أهم المراكز العلمية في مصر والعلماء الذين التقى بهم في الإسكندرية والقاهرة وأماكنهم ويهتم بذكر ترجمة مفصلة عن بعض العلماء وعن مؤلفاتهم، ويهتم بأخذ الإجازات له ولأبنائه ولأخواته، ويورد ابن رشيد الحديث بأكثر من إسناد ويهتم بذكر رجال السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويشير إلى معلومات في علم الحديث والأدب

---

[1]– **سيبويه:** اسم فارسي معناه رائحة التفاح وقيل سمي لذلك لنظافته.ولد في فارس ونشأ في البصرة ولا نعرف سنة ولادته لأنه لم ينشأ في بيت عريق أو في بيت أمير أو سلطان لكن على التقريب يرجع مولده إلى سنة 135هـ من خلال روايات بعض العلماء، أما وفاته فقد اختلف فيها كذلك والراجع أنه توفي 180هـ،كمال رقيق، المصطلح اللغوي في كتاب سيبويه، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص لسانيات، إشراف عبد الجليل مرتاض، تلمسان، 2013، ص24.

[2] –أماني سعيد الحربي، المرجع السابق، ص81.

والنحو والتصوف، ويورد ابن رشيد خلال رحلته أبيات شعرية وإن كان علم الحديث قد نال جل اهتمامه خلال رحلته فالغاية من رحلة ابن رشيد هي غاية علمية[1].

البعد العلمي والثقافي للرحلة:

أسهم ابن رشيد في عملية تمتين التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي ومشرقه، من خلال مشاركته في النشاط الفكري والعلمي بينهما، وإذا حاولنا حصر مظاهر هذا التواصل فإنه يصعب لكون معنى الثقافة يشمل الكثير من المجالات الدينية والروحية والعلمية والفنية والمعمارية. لكن سنقتصر على ذكر بعض المظاهر في الجوانب العلمية فقط، وعلى هذا الأساس يمكن عرض أهم مظاهر التواصل المعرفي لرحلة ابن رشيد .

- **الإجازات العلمية** :قد حمل ابن رشيد السبتي في عيبته من سبتة ثلاثة من هذه الاستدعاءات (استدعاء أصغر، واستدعاء أخضر، واستدعاء أكبر)كما حصل على إجازات أخرى باستدعاء رفيقه في وجهته ابن الحكيم.

- **نقل الكتب والمؤلفات**:اهتم ابن رشيد بالكتب والبحث عنها والعمل على اقتنائها لازمه في مراحل الرحلة، فكان يقصد أسواق الكتبيين لشراء مصنفات العلماء، وينتقي أجودها، من حيث الخطوط والأشكال فهاهو يعثر على نسخة من كتاب يحمل عنوان "المثل السائر" في سوق الكتبيين بدمشق وقد أعجب بحسن خطه[2] وشكلها، لكنه يندهش حينما يكتشف بأنها كتبت بخط أبي العباس الجزائري. وفي هذا خير دليل غلى تبادل الكتب والمصنفات بين المغاربة والمشارقة.

[1] -أحمد عبيريد، التواصل المعرفي بين علماء المغرب الإسلامي وشرقه في العصر المملوكي دوافعه-مظاهره، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية،دبي،2013، ص10.

[2]- أحمد عبيريد ،المرجع السابق، ص11.

- **لقاء العلماء ومدارستهم**:حرص ابن رشيد السبتي على عمل فهرسة خاصة بشيوخه وتراجم وأسانيد والأخذ عنهم سماه "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة"، ومضمون العنوان يوحي أن ابن رشيد عاد من وجهته الحجازية و عيبته مملوءة بما استطاع تدوينه.

من الفوائد والأسانيد العالية، وما رواه من الإفادات والإنشادات، وما لخصه من الكتب والمتون وما ضفر به من السمعات والإجازات بأهم المراكز العلمية في طريق الحج[1].

كما حظي ابن رشيد من لدن علماء البلدان التي دخلها في رحلته بتقدير خاص بعد أن رأوا فيه عالما مشاركا يسهم في المناقشات العلمية، ويدلي بدلوه فيما يخوض فيه العلماء والأدباء، ومشاركته للمناظرات العلمية بين علماء الشرق والغرب الإسلاميين[2].

وفاته: تجمع المصادر على أن وفاة ابن رشيد كان بمدينة [3]فاس [4]في الثالث والعشرين من شهر محرم سنة(721هـ-1321م)[5]وله من العمر أربع وستون سنة ودفن خارج باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجنة،التي اشتملت على العلماء والصلحاء والفضلاء من الغرباء الواردين إلى مدينة فاس[6].

رحلة العبدري : على عكس رحلة ابن رشيد "ملء العيبة " والتي اتصفت بحجمها وعدد أجزائها وطول مدتها ، فان الرحلة المغربية للعبدري جاءت على شكل كتاب واحد متوسط الحجم . لكنها لم تقل أهمية عن الأولى .

---

[1] -أحمد عبيريد، المرجع السابق، ص13.

[2]-نفسه، ص14.

[3] - إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون، الديباج في معرفة أعيان علماء المذهب، تح مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت،1417هـ-1996، ص301.

[4]**– فاس**:هي أعظم من مصر إلى آخر بلاد المغرب،ومدينة كبيرتان مفرقتان، يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس ويدور حولها سور عظيم،وبين المدينتين قناطر كثيرة وتطرد فيها جداول ماء لا تحصى تخترق كلتا المدينتين تسمى بالسواني لابد لكل دار من ديار المدينة منها، إسماعيل العربي، المدن المغربية، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص333.

[5]- إبن فرحون، المصدر السابق، ص401.

[6]- لسان الدين إبن الخطيب، المصدر السابق، ط2، ص143.

مولده ونسبه : هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن احمد ابن مسعود العبدري ، وينتهي نسبه إلى عبد الدار بن قصي بن كلاب واليه نسبته[1] .

لم تسعفنا المصادر – حتى الآن – بمعرفة تاريخ ولادة العبدري وتاريخ وفاته، وكل ما نعرفه انه قام برحلته في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وثمانين وست مئة (688هـ) وكان عندها في عنفوان عمره. فإذا افترضنا انه آنذاك في الخامسة والأربعين، بدليل قوله عن ابن خميس التلمساني الذي كان – حين لقبه في تلمسان – في الثامنة والثلاثين من عمره بأنه "فتي السن ". فتكون ولادته حوالي سنة (643هـ/1245م) واغلب الضن أن وفاته كانت بعد سنة (700هـ)[2]. وهو صاحب الرحلة المعروفة باسمه ، أصله من بلنسية بالأندلس، وكان يسكن في بلدة"حاحة "بالمغرب الأقصى[3].

هناك اختلاف بين المؤرخين ، فمنهم من نسبه إلى المغرب الأقصى ، ومنهم من نسبه إلى بلنسية ، وسواء كان الرجل أندلسيا بلنسي الأصل، ثم نشأ في المغرب، أو كان عربيا مغربيا لأصلة له بالأندلس، فإنه يعد من المغاربة[4].

ثقافته وعلمه : لا يذكر العبدري شيئا عن دراسته الأولى، ولاستنجدنا المصادر في معرفة بداية تكوينه الثقافي ، ولا يستبعد أنه تتلمذ على يد والده ، ودخل الكتاب –كما كانت العادة – في بلدته، فحفظ القرآن و تعلم على الطريقة المتبعة حينئذ من التدرج في حفظ المتون، وتعلم العمليات الحسابية، ثم ارتقى إلى أن أصبح من الطلاب، عندها انتقل الى مراكش التي كانت مركزا علميا مرموقا آنذاك، فأخذ عن ثلة من علمائها ، أمثال محمد بن علي بن يحي الشريف الذي كان شيخه .

---

[1] – أبو عبد الله العبدري ، رحلة العبدري، تح علي إبراهيم كردي ، تق شاكر الفحام ، ط2 ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2005 ، ص 07.

[2]– العبدري ، المصدر السابق، ص 07.

[3]– إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 62 .

[4]– نقولا زيادة ، الجغرافيا و الرحلات عند العرب ، دط ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، 1987، ص 107 .

وقد استفاد العبدري من كثرة مشايخه وتنوع ثقافتهم فأتقن كثيرا من الفنون ظهرت جلية في رحلته التي بدا فيها المؤلف حافظا للقرآن والحديث، ومطلعا على الأدب العربي نثره وشعره، وخطبه و رسائله، عارفا بأيام العرب و غزواتهم، وفصحاء خطبائهم، وله معرفة بالأسماء والألقاب و الكنى و أسماء الأماكن، وبمصطلحات علوم الأدب و البلاغة والعروض[1].

مسار الرحلة : انطلق من حاحة و وصف الطريق الذي اتبعه عند الانطلاق، فزار بعض المناطق المغربية حتى وصل إلى تلمسان أين مكث بها وبدأ في تقييد الرحلة، وبعد لقائه بالشاعر ابن خميس واصل طريقه فمر على بعض مدن المغرب الأوسط (مليانة ، الجزائر ، بجاية ، قسنطينة) وصولا إلى بونه و الانتقال إلى تونس التي أعجب بها فذكر حسن بهائها ووصف مناراتها العلمية، وذكر شيوخها الذين التقى بهم، وبعدها واصل السير من تونس إلى القيروان[2]، طرابلس وصولا إلى الإسكندرية والقاهرة وحظيت بوصفه و إبداء آرائه و انتقاداته في مواقف عدة. وبعد القاهرة كانت الانطلاقة إلى مكة المكرمة .[3]

أسباب الرحلة : كان وراء رحلة العبدري سببان حملاه على المضي فيها :

- سبب الأول : وهو القيام بفريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة، والاتصال بالمتصوفة والصالحين، وقد صرح العبدري مرارا بأنه كان ينوي الإقامة بمكة والمجاورة بها وبأنه قد اكترى

[1] – العبدري ، المصدر السابق ، ص08.

[2]– **القيروان**:قال الأزهري: القيروان معرب، وهو بالفارسية كارول، وقد تكلمت به العرب قديما.والقيروان في الإقليم الثالث طولها إحدى وثلاثون درجة وعرضها ثلاثون دقيقة، وهذه مدينة عظيمة بإفريقية، وليس الغرب مدينة أجل منها،ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج7، ص99.

[3]– لبنى لونانسة ، النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب المغربي ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، 2014/2013 ، ص70.

المنزل و جهز لوازمه .[1] وصرف الركب إلى المغرب، لولا حدوث فتنة هناك أرغمته على الرحيل من مكة .[2]

- السبب الثاني: رغبته في لقاء العلماء والمشايخ و الأخذ عنهم ، وكان العبدري حريصا على البحث عن السند العالي فيما أخذه عن هؤلاء العلماء و المحدثين ، ورأينا العبدري في سؤال دائم عن الأحوال العلمية و الثقافية في البلاد التي مر بها ، فإذا صادف مجموعة من العلماء في بلد من البلاد طرب لذلك وانشرحت نفسه فانطلق لسانه ثناءً و حمداً كما حدث معه

في تونس . و إذا لم يجد هذا النوع من العلماء هجا بلسانه الذرب هذه البلاد و أهلها كصنيعه في قابس وطرابلس .[3]

رحلته: أما رحلته فهي حجازية انطلق صاحبها من بلده حاجاً بتاريخ (25 ذي القعدة 688هـ) امتازت هذه الرحلة بأنها جمعت بين وصف حواضر الطريق و آثارها وأحوال المجتمعات المقيمة بها. وبين الحديث عن الجانب العلمي في هذه الحواضر ، وذكر أسماء العلماء الذين لقيهم و استفاد منهم. و العبدري صريح في وصف الأجواء العلمية من الحواضر التي استفاد من علمائها.

- تلمسان: لم يجد فيها من يستحق الاهتمام والجلوس إليه غير الشاعر إبن خميس فأخذ عنه.
- بجاية: وجد بها الشيخ أبي الخطيب صالح الشاطبي (ت 699 هـ).
- تونس: وقد طالت مدة إقامته بها و استفاد من أبي محمد بن هارون الطائي (ت709هـ)، وأبي الحسن بن رزين الخلاسي (ت 697هـ) .
- القيروان: التقى بأبي زيد عبد الرحمان بن الدباغ (ت 699هـ). وأخذ عنه واستفاد من مكتبته[4].

---

[1]- العبدري ، المصدر السابق ، ص18.

[2]- نفسه، ص391.

[3]- العبدري ، المصدر السابق ، ص184.

[4] - بناهض عبد الكريم، القيمة اللغوية للرحلات المغاربية الحجازية ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق العربي رحلة العياشي أنموذجا، مذكية لنيل الدكتوراه تخصص الدراسات اللغوية في ضوء التواصل الحضاري، إشراف والي دادة عبد الحكيم، جامعة تلمسان، الجزائر، 2018/2017، ص57.

- الإسكندرية: أخذ من أبي الحسن الغرافي (ت704هـ) وابن المنير زين الدين أبي الحسن (ت695هـ).
- القاهرة: أخذ عن الشرف الدمياطي (ت705هـ) و ابن دقيق العيد (ت702هـ)، وأجاز له.
- الحجاز: ولم يستفد من شيوخ مكة والمدينة لانشغاله بالحج في مكة، إلا شيخا واحدا لمجاورته لحرم الرسول صلى الله عليه وسلم و أجاز له لفظا في كل ما يرويه[1].

مؤلفاته : لا نعرف حتى الآن للعبدري مؤلفا غير الرحلة التي بين أيدينا . غير أننا لا نسلم بهذا ، ولا نظن أن علم الرجل عقم من كتاب آخر وهو من هو في علمه ومكانته . ويبدو أن غوائل الدهر قد أتت على ما أنتجه هذا العام، ولم يسلم لنا سوى الرحلة. ومما يعيننا على ما نذهب إليه ويقويه أن البلوي أورد في رحلته قصيدة العبدري التائية التي عارض فيها القاضي عياض في كتابه "الشفا" ومطلعها :

يا ساكني دار الحبيب عليكم مني سلام طيب النفحات [2]

وكذلك فقد أتى العبدري ببيت منفرد في رحلته وهو:

شبابي وال جاء شيبي بعزله فقام بأعلى الرأس أي خطيب

وقال قبل إيراده: "وقد كان هذا المعنى عرض لي قديما فنظمته في متن قصيدة ". وهذا يعني أن ديوان شعره ما خلى بعض الشذرات منه التي وقفنا عليها قد ضاع[3].

وكذلك أشار الكتاني صاحب "فهرس الفهارس" إلى أنه يروي (فهرسة العبدري) من طريقين مختلفين[1].و لا نظن أنه قد عني بفهرسة الرحلة، لأنه ضرب من التأليف يختلف اختلافا بيناً عن التأليف في الرحلات.

---

[1] – بناهض عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 58.

[2]– خالد بن عيسى البلوي ، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تح الحسن بن محمد السائح، ج2 ، دط، دب، دت، ص184.

[3]– العبدري ، المصدر السابق ، ص137.

أهمية الرحلة وبعدها الثقافي والعلمي: مما يدل على أهمية الرحلة انتشار نسخها المخطوطة في كثير من مكتبات العالم، واحتفال المؤرخين بها، إذ نقل الكثير عنها كالتنبكتي صاحب "نيل الابتهاج " الذي استفاد منها ونقل كثيرا من التراجم عنها وعدها مصدرا من مصادر كتابه [2]. ونقل عنها الوزير السراج في كتابه "الحلل السندسية في الأخبار التونسية " فقرات طويلة في الأوصاف و التراجم عنها، وعدها أيضا من مصادره في تأليف كتابه[3].

ونظرا إلى أهميتها فقد قام أبو العباس بن قنفذ القسطنطيني (ت809هـ/1406) باختصارها بعنوان "المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدرية "و مازال هذا المختصر مخطوطا[4]

ومما يزيد أهمية الرحلة أنها تعد وثيقة مهمة عن الحياة الثقافية في في أواخر القرن السابع الهجري في البلاد التي مر بها العبدري والتقى علمائها . فقد أعطانا صاحب الرحلة فكرة موسعة عن المستوى الثقافي في هذه البلاد . وعرفنا بأعلام علمائها ، وما كان يهتم به من العلوم المختلفة ، كما دلنا على الكتب التي كانت رائجة آنذاك ،وطرائق التدريس المتبعة آنذاك وترجم العبدري لمجموعة من العلماء الذين لا نكاد نعثر لهم على صورة واضحة في المصادر المختلفة . فأضاء جوانب من شخصياتهم. وعرفنا بهم بطبائعهم، وكانت أوصافه وأحكامه تتصف بالدقة لأنها صادرة عن شاهد عيان . كذلك فإن هذه الرحلة تفيد علماء الجغرافية و التاريخ في دراسة الظواهر التي كانت سائدة آنذاك، كما تفيد مؤرخي الأدب في التأريخ الأدبي للأقطار التي مر بها العبدري، فهي تضم نصوصا أدبية وشعرية و نثرية ونقدية مهمة تتفرد الرحلة في بعضها، بما يزيد في أهمية الرحلة و يضعها في مكانها الصحيح بين كتب الرحلات المختلفة [5].

---

[1]– عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، فهرس الفهارس و الإثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات ، باعتناء إحسان عباس ، ج2، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982، ص809.

[2]– العبدري ، المصدر السابق، ص 138.

[3] – العبدري، المصدر السابق، ص138.

[4] – نفسه، ص17.

[5]– العبدري، المصدر السابق ، ص18.

ثالثا: نماذج من المرتحلين من المشرق إلى المغرب:

عرفت بلاد المغرب الإسلامي توافد الكثير من المشارقة منذ الفتح، وكان من جملتهم العلماء و المثقفون. لكن هذا العدد بدأ في التناقص تدريجيا لعدة عوامل أهمها أن المنابع الأولى للثقافة الإسلامية و التيارات الفكرية كانت بالحواضر المشرقية[1].

وخلال القرن السادس شهدت الدولة الموحدية وفود عدد من المشارقة في شكل بعثات دبلوماسية أو في مبادرات حرة وفردية، أما في عهد الدول المستقلة بعد الموحدين فتكاد كتب التراجم تخلوا من أسماء العلماء أو الطلبة ممن آثروا الارتحال من المشرق إلى المغرب، ومن خلال البحث المعمق أمكن التعرف على مجموعة منهم :

جلال الدين الأقشهري (731هـ/ 1330م): هو محمد بن أحمد بن أمين التركي القونوي، ذكر عنه لسان الدين بن الخطيب بأنه قدم بلاد المغرب فاستوطن بعض بلاده، واستفاد من علمائه وشيوخه أمثال أبي مروان عبد الملك السريشي و أبي بكر محمد بن محمد بن معنصر المومناني، واتصل بأبي إبراهيم الماجري، ثم ارتحل إلى بلاد الأندلس سنة (704هـ/1304م)[2]. وذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة بقوله :"ورحل إلى مصر ثم إلى المغرب، فسمع من أبي جعفر بن الزبير بالأندلس، ومحمد بن محمد بن عيسى بن معنصر بفاس وغيرهما، وجمع رحلته إلى المغرب والمشرق في عدة أسفار"[3].

ويظهر من هذه الترجمة الموجزة أن هذا العالم قد ارتحل من المشرق وطاف ببلدان المغرب ولا شك أنه مر أهم حواضر المغرب الإسلامي، والتقى بالكثير من الشيوخ و العلماء ممن أخذ عنهم، ولما أتم

[1] – محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرنيين، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص258.

[2]– محمد المنوني، المرجع السابق، ص258.

[3] – ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، در الجيل، بيروت، 1993،ص309.

الرحلة في تحصيل العلم قام بجمع ملاحظاته في كتاب يتكون من عدة أجزاء، وتوفي بالمدينة المنورة سنة(731هـ/1330م)[1].

تقي الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن الغرس الحنفي المصري : ذكره أبو العباس المقري في كتابه نفح الطيب، وقال أنه قدم الأندلس والتقى بالوادي آشي ووقع بينهما محادثات في الفقه و علوم الدين ولم يذكر معلومات أكثر عنه، إلا أنه كان من أعلام المصريين[2].

سيدي يوسف الدمشقي : من أعلام القرن (9هـ/15م)، كان متصوفا على الطريقة الشاذلية قدم الأندلس قدم الأندلس وكان يتردد على الوادي آشي[3].

ابن طراد النحوي الحجازي (788-709هـ/1309-1386م): هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد المعطي بن مكي بن طراد الأنصاري المخزومي المالكي النحوي عالم الحجاز، ولد بالقاهرة، و بها درس حيث تفقه على الشيخ أثير الدين بن حيان، ثم سافر مع والده إلى بلاد المغرب[4].

والتقى بمجموعة من العلماء ومنهم الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي[5]، الذي كان يقرئ المدونة في الفقه المالكي فحضر دروسه. ثم درس بمكة على شيوخها وعلى القادمين إليها من العلماء الحجاج، ثم استقر بها لتدريس العربية و العروض، واشتهر بخطه الحسن[6].

---

[1]- محمد المنوني، المرجع السابق ،ص258.

[2]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، ج3، دار صادر، بيروت، 1988، ص147.

[3]- المقري، نفح الطيب،ج3، المصدر السابق، 148.

[4]- عبد الرحمن بالأعرج، علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين السابع و التاسع هجريين (7-9هـ/13-15م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم التاريخ و علم الآثار، تلمسان، 2013، ص262.

[5]- ينتسب إلى قبيلة جزولة البربرية بالمغرب الأقصى، كان يلقب بشيخ المدونة وكان من أعلم الناس بمذهب مالك وتخرج به الكثير من العلماء توفي سنة (741هـ/1340م) ، عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص263.

[6] - يوسف ابن التغري بردي، المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي، ج2،محمد أمين، تق سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص ص155-157.

عبد الباسط بن خليل (ت920هـ/1514م):ولد عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشيخي الأصل الملطي ثم القاهري الحنفي سنة (844هـ/1440م) بملطية[1]ونشأ بها وبحلب ودمشق التي قرأ فيها القرآن و القراءات،ثم حفظ منظومة النسفي و الكنز و نصف المجمع، و أقرأه أبوه[2] الكثير، وحضر دروس قوام الدين وحميد الدين النعماني وغيرهما من علماء الحنفية، وقرأ على جماعة من علماء الروم كالعلاء الرومي –قاضي قضاة العسكر بدمشق– والبرهان البغدادي في مدينة طرابلس الشام وقدم القاهرة و لازم النجم القرمي في اللغة العربية و المعاني والبيان، والشرف يونس الرومي[3].

–نزيل الخانقاه الشيخونية[4]– في المنطق والحكمة و الكلام، والمحيوي الكافياجي الذي استفاد منه كثيرا وأجاز له الشمني وابن الديري و آخرون[5]. ومال عبد الباسط إلى دراسة علم الطب، ولما كانت بلاد المغرب لا تزال مشهورة بهذا العلم قرر أن يرتحل للأخذ عن علماء الطب بها عبر حواضرها [6].

وتحت ستار التجارة غادر الإسكندرية على ظهر سفينة للتجار البنادقة سنة(866هـ/1461م) ونزل طرابلس ثم قصد تونس، التي وصلها في يوم الأربعاء 12 ذي القعدة (866هـ/1461م) بعدما

---

[1]– **لملطية:** من مدن الشام، بناها الإسكندر، وبنى جامعها الصحابة بعد الفتح. الحموي، المصدر السابق، ج5، ص192.

[2]– أبوه خليل بن شاهين الظاهري ،كان من كبار أمراء المماليك و أعلام رجال الإدارة و هو صاحب كتاب "زبدة الممالك و بيان الطرق والمسالك، عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص263.

[3] – نفسه، ص263.

[4]– **الخانقاه الشيخونية:** نسبة لأمير الكبير شيخو العمري الناصري(ت758هـ) مؤسس الخانقاه.الخوانق مفردها خانقاه، وهي كلمة فارسية معربة وهو المكان الذي ينزل فيه الصوفية ويقيمون فيه وشابه تخطيطها تخطيط المدارس والمساجد، عنايت عبير سعيد، خانقاهات مصر حتى نهاية عصر المماليك البحرية(784-647هـ/1250-1382م)،بحث مستل من أطروحة دكتوراه بعنوان الخدمات العامة لدولة المماليك البحرية في مصر، أطروحة دكتوراه، جامعة الأنبار، العدد 203، سنة 1433هـ/2012م، ص1470.

[5]– عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص263.

[6]– محمد بوشقيق، العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن (9هـ/15م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004، ص16.

بقوا في البحر ثلاثاً وثلاثين يوماً[1]، واجتمع مع الكثير من علمائها بجامع الزيتونة وأنشد بين يدي السلطان الحفصي المسعود بالله محمد بن المتوكل على الله عثمان قصيدة جاء فيها:

ألا يا آل حفص يا ملوكا ويا دررا بهم نظمت سلوك

ألا فقتم فما بعدكم ملوك الأرض أحد مليك [2]

ثم توجه إلى بجاية في ذي القعدة (868هـ/1463م) واجتمع بالشيخ أبي القاسم محمد المشدالي[3].

وأخذ عنه الكثير، ثم دخل إلى مدينة الجزائر وتبرك بالشيخ الولي عبد الرحمان الثعالبي[4] (ت872هـ/1468م) وسمع بعضا من فوائده، وسأله بعض الأسئلة التي كانت تشكل عليه فأفاده بإجابتها، كما رأى تفسيره وقرأ عليه من أوائله بعض السطور وأجازه، ثم قصد تلمسان ومر في طريقه إليها بمدينة مازونة وقلعة هوارة والبطحاء ودخل تلمسان في أواخر ذي القعدة

[1]– عبد الباسط بن خليل، رحلة عبد الباسط، نشر وترجمة إلى الفرنسية روبرت برونشفيك في كتاب DEUX – RECITS DE : voyage inédits en Afrique du nord au XV siècle ,ABDALBASIT B. HALIL ET ADORNE, LAROSE éditeurs, paris, 1936,p .17.

[2]– عبد الباسط، المصدر السابق، ص33.

[3]– وهو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي عالم بجاية ومفتيها وخطيبها. عبد الباسط، نفسه، ص41.

[4]**عبد الرحمان الثعالبي**: أبي زيد عبد الرحمان بن مخلوف الجزائري بن عمر بن نوفل بن منصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة، ويلقب بالثعالبي نسبة إلى الثعالبة الذين استوطنوا متيجة. ولد سنة 785هـ وقيل سنة786 بوادي "يسر"، وهو مفسر، وفقيه مالكي صوفي ومتكلم على طريقة أهل السنة من الأشاعرة فهو أحد أعلم الأشاعرة المالكية في القرن التاسع الهجري، توفيسنة872هـ،علي بن يحيى كعبي، آراء الشيخ عبد الرحمان الثعالبي الإعتقادية من خلال تفسيره(الجواهر الحسان) عرض ونقد، إشراف الشيخ صالح أحمد الخطيب، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تخصص العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1435هـ/2014م، ص12.

(868هـ/1463م)[1]، وصادف وصوله إليها مناسبة عيد الأضحى فحضر الاحتفال في المصلى بظاهر المدينة مع السلطان محمد بن أبي ثابت[2].

وفي محرم سنة (869هـ/1464م) قصد عبد الباسط العباد بظاهر تلمسان وزار ضريح الشيخ أبي مدين شعيب[3](ت1115هـ/1198م).

واجتمع بالشيخ أبي عبد الله محمد بن العباس[4] وقال عنه:"عالمها وخطيب جامع العباد تغمده الله، فوجدته بحرا في الفنون العلمية آية في ذلك، فأنس بي[5].

ثم سمعت من خطبته التي شغف بها الأسماع وموعظته التي بها الانتفاع وترددت إليه بد ذلك وحضرت كثيرا من الفنون العلمية واستنفذت الجم من فوائده في مدة ستة شهور، وكان أجل علماء تلمسان في عصره ذلك وله من السن نحو الثمانين سنة أو جاوزها مع تمتعه بحواسه وسلامة بدنه "[6]. كما التقى عبد الباسط من علماء تلمسان بقاضي الجماعة بها الشيخ أبي عبد الله محمد العقباني وأخيه أبي سالم إبراهيم[7]. كما التقى بالطبيب محمد بن علي فشوش أحد أطباء تلمسان وسمع من

---

[1]– عبد الرحمان بن لأعرج، المرجع السابق، ص41.

[2]– هو أبو عبد الله محمد المتوكل الزياني، تولى الحكم سنة (866هـ/1462م) حتى (873هـ/1469م). عبد الرحمان بالأعرج، المرجع السابق، ص 264.

[3]**أبي مدين شعيب**:أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري المعروف باسم سيدي أبو مدين ، الشيخ الفقيه المحقق الواصل القطب شيخ مشايخ الإسلام في عصره، إمام العباد والزهاد وخاصة الخلصاء من فضلاء العباد من ناحية إشبيلية، حمزة عباد، جمالية الرمز الصوفي في ديوان أبي مدين شعيب، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب الجزائري القديم، إشراف أحمد موساوي، ورقلة، 1429هـ/2008م، ص 1.

[4]– هو محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد و أبي الفضل العقباني وأخذ عنه الحافظ التنسي وابن مرزوق الكفيف و السنوسي وابن زكري توفي سنة(871هـ/ 1469م) ،ابن مريم الشريف التلمساني،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة، محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1908، ص223.

[5] – عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص43.

[6]– عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص 43.

[7]– إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني قاضي الجماعة ولد سنة(808هـ)، ابن مريم التلمساني، المصدر سابق،ص57.

فوائده وحضر دروسه و أجازه[1] ولازم في الطب الطبيب موشي بن سمويل بن يهود الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المعروف بابن الأشقر وقال عنه :" لم أسمع بذمي ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم وفي علم الوقف والميقات وبعض العلوم مع التعبد الزائد في دينه على ما يعتقده وهو في الأصل من يهود الأندلس وولد بمالقة قبل (820هـ) وأخذ عن أبيه وغيره وشهر في صناعة الطب وانتقل إلى تلمسان فقطنها وقصده الكثير من الفضلاء للأخذ عنه، لازمته مدة وأخذت عنه نبذة كبيرة نافعة في الطب وغيره وأجازني"[2]وفي 24 ربيع الثاني سنة (869هـ/1464م) اتجه عبد الباسط نحو مدينة وهران ووصلها بعد ثلاثة أيام وأقام بالقرب من زاوية الشيخ التازي والتقى بكبار علماء المدينة أمثال الشيخ أبو العباس المالكي مفتي وهران والشيخ سليمان الحميدي ، ثم توجه من وهران إلى تلمسان في شهر رمضان (869هـ/1464م) ونزل في بيت صاحب الأشغال عبد الرحمان بن النجار وكان له نفوذ كبير في الدولة الزيانية .

وكان عبد الباسط من المؤرخين الموسوعيين، ومن مؤلفاته في التاريخ :

- تاريخ الأنبياء و الأكابر وبيان أولي العزم منهم.
- الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم.
- غاية السؤل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين .
- نيل الأمل في ذيل الدول [3].

[1]-عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص44.

[2]- عبد الباسط بن خليل ، نفسه ،ص44 وص107 من النص الفرنسي .

[3]- عبد الباسط، المصدر السابق، ص48وص110من النص الفرنسي.

لقد ساهمت هذه الرحلات بجد في تمكين علماء المشرق و المغرب من التواصل فيما بينهم وتبادل المعارف والعلوم والمستجدات والآراء ، كما أن المسلمين كانوا يعتبرون كل بلاد الإسلام هي أوطانهم ولم تكن هناك ما يسمى بالجهوية أو القطرية سواء في بلاد المشرق أو في المغرب الإسلامي عند الرحالة والعلماء المشارقة أو المغاربة ، وقد كان عدد المشارقة المرتحلين إلى بلاد المغرب الإسلامي قليل بالمقارنة بشكل كبير.

المبحث الثالث:

دور الرحلات الجغرافية في تحقيق التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي ومشرقه.

أولاً : دور العامل السياسي في تحقيق التواصل الثقافي .

ثانياً : دور العامل الديني في تحقيق التواصل الثقافي

ثالثاً : دور العامل العلمي والتعليمي في تحقيق التواصل الثقافي.

أولاً: دور العامل السياسي في التواصل الثقافي.

لقد تميز النصف الأول من القرن السابع الهجري باضطرابات سياسية كبرى، ميزت المشرق الإسلامي اتسمت فيه الأوضاع السياسية بالصراع الصليبي الإسلامي، والتعرض للغزو المغولي، والذي قام سنة 617هـ بإحراق خزائن الكتب ومختلف النفائس العلمية في مدينتي"بخارى"و"نيسابور"، وعمل هولاكو على احتلال مدينة بغداد سنة (656هـ/1258م) – ومدينة بغداد كانت عاصمة بني العباس– وأتى على المصنفات والمؤلفات التي كانت بها، قضى جيش التتار على ثلاثة عشر ألف فقيه[1]، هذه الفترة ابتلي الإسلام والمسلمون بمصائب لم يبتلى بها أحد من الأمم، أقبل التتار من المشرق ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها....ومنها خروج الفرنج من المغرب إلى الشام ومصر وغيرها، ومنهم أن الذي سلم من هاتين الطائفتين فإن السيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق[2].

الدعاية والدعوة المذهبية والسياسية: يخص هذا أعلام الدعوة والسياسة من المشارقة الذين أرسلوا في مهمة نشر مذهب ما، والمعلوم أن الدعوة تكون في بيئة لم توجد فيها تلك الأفكار المراد نشرها وإن كانت موجودة تكون مهمة هؤلاء تحويل الدعوة إلى الدولة– مذهب سياسي– خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، وكان هؤلاء الأعلام علماء مشاركين في أنواع من العلوم والفنون، وعلى قدر من المعارف مهيئين لتأدية مهامهم مجيدين أسلوب التبليغ والحجاج على حسب محور العمل والنشاط.

[1]– جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج3،تع شوقي ضيف، دط، دار الهلال، دب، دت، ص9.
[2]– عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص318.

كان دعاة الإباضية على رأس هؤلاء بإفريقية، منهم سلامة ين سعيد الذي قدم من أرض البصرة، يدعوا إلى مذهب الإباضية والقائل بالمغرب:" وددت أنولم ظهر هذا الأمر يعني مذهب الإباضية يوما واحدا من أول النهار إلى آخره فلا أسف لي على الحياة بعدها"[1].

ومن أشهر الدعاة الوافدين إلى بلاد المغرب أيضا عالم مشرقي، داعي الإسماعيلية أبو عبد الله الشيعي القائم بدعوة عبد الله المهدي، الذي هيأ لذلك بحيث كان عالما بأصول المذهب، الظاهر والباطن[2]، ومقتدرا على الحجة. وعليه فتم اختياره بعناية لأن المهمة كانت كبيرة، فتلك العملية التي بدأت بأسلوب تعليمي دعوي تمكن من خلالها كسب ثقة البربر لينتقل إلى المرحلة العلنية المتمثلة في تحضير الجيوش وإعلان الدولة. أما عبيد الله المهدي فلم يخرج لاجئا أو فارا، وإنما جاء لتسلم أرقى المناصب وهي الخلافة وتسيير أمور الدولة بشرعية النسب، ذلك النسب الذي اختلف فيه الكثير كما أن أي محاولة لنقاش هذه المسألة ميؤوس من نتائجها[3].

علاقة الحفصيين مع المماليك سياسيا: شكلت الدولة الحفصية بحدودها التي امتدت شرقا لتلامس الحدود المملوكية، الدولة الأولى من دول المغرب الإسلامي التي تعاملت مع المماليك على الصعيد السياسي، بحكم الجوار وكونها كانت المرشحة لخلافة دولة الموحدين، وقد كانت على مقربة من الوقائع التي أدت إلى سقوط الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية، ومما أتيح لنا من المصادر تمكننا رسم معالم العلاقات التي ربطت الحفصيين والمماليك البحرية الجراكسة. يمكن إرجاع بداية العلاقات بين دولة الحفصيين والمماليك إلى أواخر عهد الدولة الأيوبية والأشهر الأولى لميلاد دولة المماليك البحرية، ويذكر ابن قنفذ القسنطيني (ت860هـ/1407م) في كتابه الفارسية في مبادئ

[1]- الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب،ج1، تح إبراهيم طلالي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974/1394، ص11.

[2]- أبو قتيبة القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تح فرحات الدرشاوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص30.

[3]- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسمى رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر،ط1، تق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ/2005م، ص23.

الدولة الحفصية، أن علاقة مودة وصداقة جمعت بين السلطان الحفصي أبي زكريا صاحب تونس، والملك الصالح أيوب، ويمكن إجمال مظاهر هذه العلاقات في تبادل المعلومات حول الحركات الصليبية التي كانت تهدد السواحل المغربية والمشرقية على حد سواء[1].

وفي هذا الصدد أوفد السلطان الحفصي سفارة إلى الملك الصالح أيوب في القاهرة، يعلمه بتخطيط وعزم الملك الفرنسي لويس التاسع على غزو مصر فيما عرف بالحملة الصليبية السابعة.

وتضمن كتاب الرسول اعتذار أبي زكريا عن عدم تمكنهم من صد الهجوم الصليبي بنفسه نظرا للأخطار التي كانت تهدد دولته من جانب صاحب صقلية، وكذلك خطر الأعراب الذين كانوا دائمي الثورة والانتفاض بإفريقية[2]. وقد ذكرت المصادر الأخرى المعاصرة أن المعلومات التي وردت الملك الصالح أيوب كانت من طرف ملك الإمبراطورية الرومانية المقدسة فريدريك الثاني الذي كان قد نشأ في صقلية في كنف المسلمين والحضارة الإسلامية[3].

لكن الظاهر أن الخطر المشترك الذي يهدد العالم الإسلامي من جهة الحوض المتوسط قد ساهم في إرساء قواعد اتصالات دبلوماسية وتبادل للمعلومات التي تخص الجانبين الحفصي والمملوك، خاصة وأن الحملات الصليبية التي كانت تقصد الشرق غلبا ما كانت تمر بالسواحل التونسية. وكان بنو حفص على علم بالأحداث السياسية التي أدت إلى سقوط حكم البيت الأيوبي وانتقال الحكم إلى طائفة المماليك البحرية، وكان لزاما عليهم التعامل مع نظام الحكم الجديد الذي طرأ في القاهرة، لكن مع اشتداد الخطر المغولي على بغداد وسقوط الخلافة العباسية

[1] – ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، ص112.

[2]– نفسه، ص113.

[3]– تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، ص385.

بها تعكر جو العلاقة التي صارت تنافسية حول منصب الخليفة أكثر منها تعاونا ضد الأخطار الأجنبية الصليبية من الغرب والمغولية من الشرق.

أبرز سمات الثقافة الإسلامية في بلاد المغرب أيام الخلافة العباسية:

منذ قيام الخلافة العباسية عام (132هـ/749م) وانتقالها من دمشق أصبح ولاة المغرب يشعرون في أحيان كثيرة، بنوع من الاستقلالية، وبخاصة عندما حكم العقبيون –أحفاد عقبة بن نافع– والمهالبة[1].

ولتحقيق هذه الغاية كان لابد أن تنشط الحركة الثقافية ليزاحم العلم المغربي العلم المشرقي ولذا انكب الولاة على تأسيس معاهد العلم، ودعوة المشهورين من اللغويين والنحويين والفقهاء والأدباء والأطباء، وقد انتشرت هذه الظاهرة في بلاد المغرب والأندلس لتكوين جهاز علمي قادر على حمل لواء الثقافة الإسلامية. ومن ثم أصبحت برقة، وطرابلس، والقيروان، وتاهرت، وفاس، وسجلماسة منذ قيام الإمارات المستقلة، بها منارات للعلم والثقافة الإسلامية. وظلت الصلة بين أهل المشرق وبين أهل المغرب مستمرة ومتزايدة رغم المستجدات السياسية التي أفرزتها حركة الانفصال التي قامت بها مجموعة من الإمارات التي سبق ذكرها والتي تم قيامها في فترات زمنية متقاربة خلال القرن الثاني الهجري وإن كانت قد استكملت شخصيتها السياسية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. وقد أصبحت علاقة المغرب بالمشرق –من الناحية السياسية– منذ ذلك الحين لا تتعدى الارتباط الروحي الذي تمثله وحدة الخلافة الإسلامية، التي احترمها المغاربة[2].

[1]– بشير رمضان التليسي ، المرجع السابق، ص191.
[2]–نفسه، ص191.

وبالرغم من سوء العلاقات السياسية بين الإمارات المغربية –عدا الأغالبة– والخلافة العباسية فإن العلاقات الثقافية لم تتأثر تبعا لذلك، فقد كانت الرحلة بين المغرب والمشرق، والعكس متواصلة، وبخاصة عند قيام المغاربة بتأدية فريضة الحج[1].

العلاقات المرينية المملوكية:

عمل سلاطين الدولة المرينية على توطيد ركائز حكمهم ببلاد المغرب، كما ركزوا على الفوز بتأييد الدول القوية كدولة المماليك وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمن ابن خلدون:"... ولم تزل ملوك المغرب على القدم ولهذا العهد، يعرفون لملوك الترك حقهم ويوجبون لهم الفضل والمزية، بما خصهم الله من ضخامة الملك، وشرف الولاية بالمساجد المعظمة، وخدمة الحرمين الشريفين،وكانت المهادات[2]. بينهم تتصل بعض الأحيان، ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من أحوال"[3]. وفي ذلك إشارة إلى أن المرنيين كانوا يحرصون على احترام وتوقير المماليك كونهم تعاملوا مع أقوى الدول في المشرق وأوروبا.

ازدهرت العلاقات المغربية المشرقية على عهد الدولة المرينية من خلال تبادل السفارات والهدايا الملكية بين الدولتين مع الرسائل الدبلوماسية والتوصية بالحجيج، وكانت السفارات تذهب رفقة ركب الحج في حين كانت هناك سفارات تذهب في أغراض أخرى. نذكر منها:

– سفارة سنة(700هـ/1301م): وهي أول سفارة انطلقت من المغرب الأقصى تجاه مصر المملوكية، وقد أشار إليها عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه العبر في العبارة التالية:"حضر في سنة

[1]– التليسي، المرجع السابق، ص192.

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ج5، مراجعة سهيل زكار،دار الفكر، بيروت،دط، دت، ص479.

[3]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ، ج5، ص479.

سبع مائة وزير من المغرب في غرض الرسالة[1]. وترأس وفد السفارة الأمير والوزير علاء الدين أيدغدي الشهرزوري[2]والفقيه الذي كلف بالهدايا[3].

وتذكر المصادر أن أيدغدي لما وصل مصر لفت انتباهه المكانة التي كان يتمتع بها أهل الذمة في جهاز الدولة المملوكية، وقام بإعلام السلطان الناصر بهذا الموضوع ومدى خطورته كما أحال المسألة على الفقهاء للنظر فيها، ولما عاد إلى المغرب ساهم في رسم التوجه المريني في إقصاء الذميين من أجهزة الحكم وتسيير الدولة وأصدر قرار رسمي يلزم اليهود والنصارى بارتداء العمائم الخاصة بهم واستبعادهم من كل المسؤوليات الرسمية للدولة المرينية.

– وفادة لبيدة بن أبي نمي أمير مكة على السلطان المريني: لقد كانت العلاقات بين السلطان المريني وأشراف مكة طيبة للغاية، وتذكر المصادر التاريخية أنه لما عاد ركب الحج في ربيع الثاني عام(704هـ/1304م) وفد معه لبيدة بن صاحب مكة أبي نمي[4].

[1]– ابن خلدون، نفسه، ج5، ص416.

[2]– المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،تح محمد عبد القادر عطا، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، 1417هـ/1997م، ص9.

[3]– ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت، 1981، ص334.

[4] – ابن خلدون، العبر المصدر السابق، ج7، ص226.

الذي خرج مع الملك الناصر بعدما قام هذا الأخير بالقبض على أخويه حميضة[1] ورميثة[2] عقب وفاة أبيهم سنة (702هـ/1302م)، فأكرمه السلطان يوسف بن يعقوب وسرحه إلى المغرب الأقصى للسياحة والتجوال في ربوعه، وأوصى العمال باستقباله وإكرامه، ثم رجع إلى السلطان بالمنصورة سنة(705هـ/1305م)، ومنها توجه إلى المشرق صحبة أحد أعلام المغرب[3].

جوانب من المحطات السياسية من خلال المؤلفات الرحلية: نجد أن المؤلفات الرحلية التي ميزت هذه الفترة الزمنية قد أوردت جانبا من هذه المحطات السياسية، فالمطلع عليها يجد أنها قد قدمت صورة واقعية لما يجري في هذا المعترك السياسي. فالمتأمل في الرحلة المغربية يجد العبدري قد قدم لهذا العصر بقوله:"وقد تعطل في هذا العصر موسم الأفاضل، وتبدد في كل قطر نظام الفضائل وترق أهلها أيادي سبا ... وكيف لا تكون الدنيا على ما أصف وأقول وعلى وقف المشاهدين من ذميم أوصاف والمنقول، وقد صار الملك الذي هو نظام الأمور والصلاح الخاصة والجمهور في أكثر الأرض منقوض الدعائم مهدوم القوائم"[4].إن العبدري يقدم لنا صورة توصيفية لما لحق الدول العربية الإسلامية من مشرقها إلى مغربها، حيث تميزت بانهيار دول وقيام أخرى، نظام حكمها

[1]– هو حميضة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن، الشريف عز الدين الحسني المكي أمير مكة(720هـ/1320م). ولي إمارة مكة سنة(701هـ/1301م) لمدة زادت عن العشر سنوات وعلى أربع مرات منها مرتان شريكا لأخيه رميثة، ومرتان مستقلا بها، خرج عن طاعة السلطان المملوكي وقتل في مكة. يوسف ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تراجم جلال بن أحمد بن يوسف وسعيد بن علي بن رشيد، تح نبيل محمد عبد العزيز، مركز التحقيق التراث، دب، 1980ج5، ص186.

[2]– وهو رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الشريف أسد الدين المكي الحسني أمير مكة(ت1345/746م) تولى إمارة مكة حوالي 30سنة قسمت على سبع مرات، واستقل بها لمدة 14 سنة وشارك أخاه حميضة في الحكم لمدة 20 سنة وشريكا لأخيه عطيفة 5 سنين، ووقع له مع إخوته حروب حتى وفاته بمكة. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، المصدر السابق، ج5، ص356.

[3]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص226.

[4]– العبدري، المصدر السابق، ص2.

يفتقر إلى الأسس[1]. والدعائم القوية، وبهذا يمكن القول أن كتب الرحلات استطاعت أن تنقل لنا بعض ملامح عصرها من الجانب السياسي وذلك لما يمر به الرحال من أحوال، ومحاولة نقلها بصورة واقعية في مؤلفاته.

من الأحداث السياسية التي ساهمت في عرقلة الاتصال الثقافي والعلمي لدينا:

- لقد كان للاضطرابات السياسية والفوضى وعدم الاستقرار الذي كان يميز تلك المرحلة وذلك الوقت في كل من القطريين الإسلاميين أدى إلى تراجع الاتصال الثقافي.

- كذلك ظهور الدويلات المستقلة في كل من المغرب الأقصى والأوسط دور في تعطيل حركة التواصل لأنها كانت بحد ذاتها معادية لمركز الخلافة في المشرق الإسلامي. ولهذا عندما يكون هناك اتصال وعلاقات سياسية بين القطرين لايكون أي تقدم يخص مختلف المجالات[2].

ثانياً: دور العامل الديني في تحقيق التواصل الثقافي.

ركزت الرحلات على العلاقة المتبادلة بين المشارقة و المغاربة، ومن صور هذه العلاقة نجد صور الحياة الاجتماعية و الدينية، و التأثير الديني الذي شكل فيما بعد مجتمع إسلامي واحد يجمع بين قطري العالم الإسلامي مغربه ومشرقه، وقد كان المشهد الديني من الأمور المهمة التي نالت نصيبا كبيرا من اهتمام الرحالة المغاربة حيث تناولوا هذا الجانب أداءاً وممارسة وتفاعلا وإيمانا بأهمية هذا العامل في إماطة اللثام عن كثير من الممارسات العقدية .

[1] - لبنى لونانسة، المرجع السابق، ص26.
[2] - نفسه، ص26.

يعد ركن الحج من أركان الإسلام حيث كان المسلمون من مغاربة ومشارقة حريصين كل الحرص على أداء مناسكه رغم مشاقه ومصاعبه بين المغرب والمشرق أين توجد البقاع المقدسة بالحجاز مقصد المسلمين في العالم، وذلك ما أكد عليه ابن عباد الرندي(ت792هـ/1390م) في إحدى رسائله حيث يقول:"المشي إلى الحج في هذه الأزمنة مما يعظم حرص الناس عليه وتميل نفوسهم إليه ويؤثرون المشقة والقلة والغربة اللازمة له على الراحة والجدة والإقامة[1]."

رحلة الحج ودورها الثقافي : اهتم ملوك وسلاطين وأمراء دول المغرب بركن الحج كونه ركن أساسي من أركان الإسلام وكان المسلمون من مغاربة ومشارقة حريصين كل الحرص على أداء مناسكه رغم مشاقه ومصاعبه وبعد المسافة بين المغرب والمشرق، أيضا لأنه وسيلة لنقل العلوم والمعارف من المشرق إلى المغرب مما يعزز الثقافة والعلوم لدى المغاربة، دون أن ننسى بعده السياسي الذي يمكن في وحدة البلاد الإسلامية مشرقا ومغربا، كما اعتنوا بركن الحج، وبذلوا في سبيل إنجاحه كل موسم ما يستطيعون من المال وتمهيد الطرق وتأمينها و إقامة دليل لركب الحجيج المغاربة، وكذلك بالمراسلات مع سلاطين وأمراء المماليك وشكرهم على ما كانوا يبذلونه لإنجاح مواسم حج المغاربة إلى البقاع المقدسة[2]. كما اعتادوا بعث الربعات الشريفة والمصاحف وحبسها على الحرمين، وكانوا يكلفون كبار الشخصيات و العلماء للقيام بهذا الدور الجليل ، وعني أمراء مكة والمدينة المنورة بتنشيط الحركة الثقافية و الفكرية والعمل على ازدهارها، حيث كان حسن بن عجلان (ت829هـ/1425م) من أفاضل الأمراء والذي اهتم بعلماء مكة والمجاورين بها وكان كثير لمطالعة لكتب الحديث والتاريخ،والحرص على حضور المجالس العلمية إضافة إلى إنشائه لمجموعة

[1]– ابن عباد الرندي، الرسائل الصغرى للشيخ إبن عباد النفزي الرندي، نشرها الأب بولس ع. نويا اليسوعي، مجلة المشرق، دط، دب، 1957م.،ص66.

[2]– أبو العباس أحمد بن علي أحمد القلقشندي(ت821هـ/1428م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج8، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1985،ص86.

من المؤسسات التعليمية والاعتناء بها ووقف الأوقاف عليها[1]. ومن العوامل التي ساعدت في ربط وتعزيز الصلات الدينية والثقافية، والتي تبرز لنا دور الحج في تحقيق التواصل بين المغرب الإسلامي ومشرقه ما يلي:

– **ركب الحاج المغربي**: يعد ركب الحاج المغربي مؤسسة قائمة بذاتها، وقد خص هذا الركب بالعناية السامية للملوك والأمراء لما له من بعد ديني وهي دلالة على التدين العميق للمغاربة وارتباطهم الكبير بالبقاع المقدسة، وكان ركب الحجيج المغاربة ينطلق من المغرب الأقصى باتجاه الحجاز، وكان يتكون من عدة فئات من المجتمع ممن لهم القدرة على إقامة ركن الحج.

خاصة الطلبة والعلماء الذين كان هدفهم من رحلة الحج أبعد من الحج نفسه حيث توفر لهم بعد قضاء المناسك والسياحة في الحجاز لقاء العلماء والاختلاط بهم وتبادل المعارف معهم والأخذ عنهم و الاستفادة من علومهم[2] ، وكانت قافلة الحج عند مرورها بمصر ذهاباً وإياباً توفر للطلاب والعلماء من المغرب فرصة الالتقاء بالمشايخ والفقهاء وأعيان العلماء المشارقة ممن ذاع صيتهم في العالم الإسلامي ويتم بينهم التبادل الثقافي،وعند عودة الركب إلى المغرب كانت تنتشر أخبار المشرق وعلمائه ما كان يرغب الطلبة أكثر في الارتحال إليه[3]. كما كان المشارقة يأخذون العلم من المغاربة في إطار تبادل ثقافي ميزه وجود عدة علماء وطلبة من عدة أقطار إسلامية في مكان واحد، مما سهل عملية الاتصال والأخذ والعطاء العلمي والثقافي، واطلاع كل شخص على المستجدات العلمية الحاصلة في بقاع العالم الإسلامي. ويحصل تلاقح علمي بالتقاء كبار علماء

[1]– تقي الدين محمد الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،ج4، تح فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1406هـ/1986م، ص155.

[2]– إبن عباد الرندي ، المصدر السابق،ص70.

[3]–المقري ، نفح الطيب، المصدر السابق،ج3،ص4–5.

مكة والمدينة ، ولا تكاد تخلو ترجمة عالم من علماء المغرب الإسلامي من وجود شيوخ له أخذ عنهم بمكة والمدينة أو أخذوا عنه[1].

– ظاهرة المجاورة في مكة والمدينة المنورة: يقصد بالمجاورة[2]البقاء في مكة أو المدينة بجوار الحرمين الشريفين لدوافع دينية أو علمية أو اقتصادية أو سياسية، وكان أكثر المجاورين من مصر وبلاد الشام والعراق والمغرب الإسلامي، وكان أغلبهم من العلماء والزهاد، إضافة إلى بعض المنفيين أو المطرودين من السلطة السياسية في هذه البلدان[3]

ومن خلال كتب التراجم يلاحظ أن عدد المجاورين قد ازداد منذ القرن السابع الهجري ليبلغ الذروة خلال القرن التاسع الهجري حين أصبح المجاورون يمثلون نسبة كبيرة من المجتمع الحجازي[4]، ومن العوامل التي جعلت الحجاز مقصدا لهذه الأعداد الغفيرة من الناس إضافة إلى العامل الديني و الجو العلمي، وهو وجود المرافق الضرورية للمجاور كالمدرسة والرباط ودور الإقامة والنفقات التي كانت مخصصة لهم من طرف سلاطين وأمراء المسلمين[5].

وقد ساعد هذا الجو المليء بالنخب العلمية والسياسية و التجار من إضفاء جو خاص على الحركة العلمية بالحجاز، حيث وفرت الراحة النفسية الناجمة عن مجاورة العلماء لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والالتقاء المتكرر للعلماء في مجالس العلم من تبادل الأفكار و العلوم والإجازات

---

[1]–أبو الحسن علي بن محمد القلصادي، رحلة القلصادي تمهيد الطالب ومنتهى للراغب إلى أعلى المنازل والمناقب،تح محمد أبو الأجفان،الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1978، ص ص134–135.

[2]– تقي الدين المقريزي،السلوك، المصدر السابق، ص447.

[3] – عبد العزيز بن راشد السنيدي، المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة الثقافية،بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ ، ص03.

[4]–عبد العزيز بن راشد السنيدي، المرجع السابق، ص03.

[5]– عبد الرحمان بلأعرج، المرجع السابق، ص240.

وتأليف الكثير من التصانيف التي أضيفت للمكتبة الإسلامية شكل ما يسمى بالوحدة الثقافية للعالم الإسلامي بمشرقه ومغربه[1].

واشتهر عن الوافدين المغاربة إلى مكة والمدينة بأنهم يجاورون بها في غالب الأحيان للتعبد والتدريس، وكان بعضهم يبقى مجاورا حتى وفاته[2]

وكان للمغاربة المجاورين في مكة أماكن مخصصة لهم للإقامة فيها، ومنها رباط المغاربة الذي كان يسمى برباط الموقف ورباط عثمان بن عفان قام بإنشائه القاضي الموفق علي بن عبد الوهاب الإسكندري (ت624هـ) وهو من أهل مصر، جعله خاصا بالفقراء و المتعبدين[3] .

من المجاورين بمكة من المسلمين القادمين من بلاد المغرب، وقال عنه ابن بطوطة(ت776هـ/1373م) في رحلته:"وهو من أحسن الرباطات[4] سكنته أيام مجاورتي بمكة المعظمة[5]."

– أحباس وأوقاف المغاربة على الحرمين الشريفين: تعتبر الأحباس والأوقاف من الصدقات التي يتقرب بها العباد إلى خالقهم، واقتداءاً بالرسول صلى الله عليه وسلم، عمل أبناء الأمة الإسلامية من الأثرياء والعلماء على تحبيس العقارات والمكتبات على حجاج بيت الله الحرام. وفي هذا السياق أمكن حصر عينات من الأوقاف التي خصصها المغاربة للحرمين لشريفين وهي كالتالي:

---

[1]– عبد العزيز بن راشد السنيدي، المرجع السابق،ص07.

[2] – محمد بن عبد الله ابن بطوطة(ت776هـ/1373م)، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج1، تح محمد بن عبد المنعم العريان، مراجعة مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1996،ص165.

[3] – ابن بطوطة المرجع السابق، ص166.

[4]– **الرباطات** جمع ربط:والرباط هو المكان المخصص لإقامة والمكوث فيه، و رباطات المغاربة في المشرق هي تلك الأماكن التي يقيمون فيها، أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص846.

[5]–ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص97.

- تحبيس السلطان أبي يعقوب يوسف المريني مصحفا على الحرم المكي سنة (703هـ/1303م)تم حمله رفقة ركب الحاج المغربي وكان حجمه كبيرا ومرصعا بالدرر والذهب والياقوت[1].
- تحبيس السلطان أبي الحسن المريني مصحفا كتبه بخط يده، وتولى مجموعة من أكابر القراء بتدقيقه اللغوي وضبطه، وكلف مجموعة من الوراقين بتهذيبه، وزين بالجواهر وغلف بالجلد والحرير[2].

– تحبيس أبي العباس أحمد بن علي بن أبي بكر العبدري الميورقي الأندلسي (ت687هـ) والذي كان يقيم في مدينة الطائف بالحجاز، كما سكن مكة وحبس مكتبته على طلب العلم بها، وكانت مكتبة مشتملة على فوائد جمة، وممن استفاد منها مؤرخ الحجاز الشيخ تقي الدين الفاسي الذي وظف محتوياتها في كتابة تاريخ مكة المكرمة[3].

- تحبيس الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد الغرناطي (ت745هـ/1345م)[4] لمكتبته على طلبة العلم بإحدى المدارس بالمدينة المنورة.
- تحبيس أبي الطيب تقي الدين الفاسي لمكتبته العامرة على العلماء والطلبة وعامة القراء[5].

وبذلك كانت رحلة الحج توفر فرصة ثمينة تمتزج فيها أفكار علماء المغرب والمشرق، ويتم من خلالها تعرف العلماء على بعضهم البعض شخصيا بعدما كانوا يتعرفون عن طريق المراسلات

---

[1]–ابن مرزوق الخطيب ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن، تح ماريا خيسوس بغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص476.

[2]–أبو العباس السلاوي ، ج3،المصدر السابق، ص12.

[3]– أبو الطيب تقي الدين الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج2، مكتبة النهضة الحديثة، دار إحياء الكتب العربية، مكة المكرمة، 1956م،ص 74.

[4] – كان من المجاورين بالمدينة المنورة.

[5]–شمس الدين السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت، ص311.

والمؤلفات، فيعرف كل عالم قدره ومكانته عند الآخرين ومدى توافق أفكاره وآراء أقرانه من علماء الأقطار الإسلامية، كما كان الحج لقاء ديني امتزجت فيه المشاعر والأفكار وأفرزت مشروعا دينيا واجتماعيا وثقافيا وعلميا كان له أثره الواسع في ربط المشرق والمغرب علميا وحضاريا.

– **دور العامل المذهبي في التواصل الثقافي:** إن الحديث عن العلاقات الثقافية بين المغرب والمشرق الإسلاميين يدفعنا بالضرورة إلى الحديث عن الجو الديني العام وما تميز به من انتشار للمذاهب السنية واضمحلال المذاهب الأخرى. حيث عمل ملوك المغرب الإسلامي على إرجاع مكانة المذهب المالكي إلى سابق عهده قبل مجيء الموحدين الذين اتبعوا سياسة مذهبية تلخصت في الاعتناء بالمذهب الظاهري[1]على حساب المذهب المالكي. وقد كان الموحدون قد عملوا على تحويل المغاربة بشتى الطرق عن المذهب المالكي الذي كن سائدا أيام المرابطين، واستخدموا المناظرات[2].

مع الفقهاء المالكية واللغة البربرية لزرع عقيدتهم في أعماق المجتمع، وادعاء بعض الكرامات، واستعمال المعارك الكلامية والمسلحة لنشر الدعوة الموحدية وبث أفكارها[3].

ولما انهارت سلطة الموحدين وقامت الدول المستقلة بالمغرب الإسلامي عمل حكامها على تدعيم المذهب المالكي عن طريق إقامة المؤسسات التعليمية واستقدام كبار فقهاء المالكية للتدريس بها. ونتيجة لذلك عادت إلى حلقات الدرس بالمساجد والمدارس كتب المالكية التي اشتهرت ببلاد

---

[1]–نسب المذهب الظاهري إلى ابن حزم الأندلسي الذي كان يلتزم بنص القرآن والسنة والاجتماع ونبذ القياس والرأي في الدين، وساد هذا المذهب في بلاد المغرب أيام يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وأحرقت كتب الفروع بعدما جرد ما فيها من القرآن والأحاديث، ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق،ص ص799–800.

[2]– **المناظرات:**جمع مصدر ناظر، وهو جدال وحوار ونقاش علمي، وتبادل في وجهات النظر المختلفة يقوم فيه فريقان خصمان بالدفاع عن قضية ما أو مهاجمتها، الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص1624.

[3]– محيي الدين عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العلمي، ط1، مطبعة الاستقامة بالقاهرة،دب ،1949، ص202–204.

المغرب الإسلامي وهي الموطأ للإمام مالك، والمدونة للإمام سحنون[1] (240هـ/854م) والرسالة لأبي زيد القيرواني (ت386هـ/966م)كتاب التهذيب للبرادعي(ت392هـ/983م)[2]وغيرها،

ثم دخلت المؤلفات المصرية المشهورة إلى المذهب المالكي، خاصة مختصر ابن الحاجب[3] أو المختصر الفرعي، وكذلك مختصر خليل[4] الذي كان يعد من أجل كتب الفروع وعرف تداولا كبيرا واعتنى بدراسته الطلبة والعلماء[5].

وعاد الفقه المالكي إلى سابق عهده وازدهاره وواصل الطلبة الاشتغال به و بعلم الفروع.

وكان أغلب العلماء المغاربة على مذهب مالك وكانوا يفتخرون به ويجتهدون ويفتون في إطاره[6]. أما بالمشرق فبالرغم من الجهود التي بذلها الأيوبيون في محاربة المذهب الشيعي إلا أن

---

[1]–**سحنون**:عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون، قاض فقيه، انتهت إليه رياسة العلم في المغرب، كان زاهدا لا يهاب سلطانا فيحق يقوله، أصله من شامي حمص، ومولده في القيروان، وليا لقضاء بها سنة 234هـ، واستمر إلى أن مات، خير الدين الزركلي، الأعلام ،ج4، دار العلم للملايين بيروت لبنان ، ط15، دت، ص5.

[2]– أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الأزدي، كان من كبار أصحاب أبي زيد القيرواني، الزركلي، المصدر السابق، ج2، ص359-360.

[3]– **ابن حاجب**:هو عثمان بن عمر بن أبي بكر يونس، الكردي، الدويني، ثم الإسنائي، الفقيه المالكي، يلقب بجمال الدين، ويكنى بأبي عمرو، عرف واشتهر بابن الحاجب، لأن أباه كان حاجبا لأمير عز الدين موسك الصلاحي، خال صلاح الدين الأيوبي، ابن حاجب، مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، تح د نذير حمادو، مج 1، دار إبن حزم، ط1، بيروت، لبنان، ص33.

[4]– **أبي ضياء خليل**:هو خليل إبن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي ضياء الدين أبو المودة الإمام العلامة العالم القدوة الحجة حامل لواء مذهب مالك في زمانه في مصر، خليل المالكي، مختصر العلامة خليل، علق عليه أحمد نصر، دار الفكر،1403هـ/1981م، ص3.

[5]– أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب،ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص169.

[6]– ابن مريم، المصدر السابق، ص96.

المعتقدات الشيعية كانت لا تزال منتشرة في بعض مدن الصعيد، فعمل السلاطين المماليك على إتباع سياسة مذهبية واضحة وموثقة بمراسيم عليا ففي سنة (665هـ/1264م) قام السلطان الظاهر بيبرس البندقداري بتحريم أي مذهب ماعدا المذاهب السنية الأربعة، ولم تعد تقبل شهادة ولا يرشح أحد للقضاء أو الخطابة أو الإمارة أو التدريس، إلا إذا كان الشخص من أتباع إحدى المذاهب السنية المعتمدة وهي: المذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنفي والمذهب الحنبلي[1]. وكان لهذه المذاهب أتباع وفقهاء يقومون على تدريسها في المؤسسات التعليمية التي خصصت لكل مذهب أو التي كانت تجمعها معا، وتخرج فيها عدة علماء. كما انتشرت فيها عدة كتب بين الطلبة المشارقة كانوا يتدارسون من خلالها الفقه على هذه المذاهب ومنها: المسند للإمام الشافعي والوسيط للغزالي والمنهاج للنووي في فقه الشافعية والنوادر لابن أبي زيد في فقه المالكية وغيرها[2].

ونتيجة للسياسة المذهبية التي اتبعها الحكام المغاربة والمشارقة، فقد ضيق الخناق على باقي المذاهب التي لم تجد لها منفذا في مجتمع البلدين، خاصة المذهب الشيعي الذي أعلن المماليك حربا على منتحليه. وتسجل لنا بعض المصادر تحول الكثير من فقهاء المغرب الإسلامي إلى المذهب الشافعي أو جمعوا بين المذهبين المالكي والشافعي ومنهم:

- محمد بن أبي بكر الوتري البغدادي(ت663هـ/1264م): الذي يعود أصله إلى المغرب الأقصى، ودرس بالأندلس وارتحل إلى المشرق وتلقى عن علماء مدينة بغداد ثم عاد إلى المغرب وعرف بالوعض[3].

[1]- تقي الدين المقريزي،الخطط، المصدر السابق، ج2، ص344.
[2] - القلقشندي، المصدر السابق، ج2،ص473.
[3] - عبد الرحمان بن لأعرج، المرجع السابق، ص 272.

وتخرج على يديه بمراكش ابن رشيد السبتي وغيره، وكان من فقهاء الشافعية وعلى هذا المذهب كان يناظر ويحتج له.

- أبو جعفر أحمد بن يوسف اللبلي(ت691هـ/1291م): من علماء الأندلس درس ببجاية وتونس ومصر والحجاز، واشتغل بتدريس اللغة وأصول الدين في المغرب الأدنى، واعتبر من أعلام الشافعية ببلاد المغرب وكانت عقيدته أشعرية وألف في اللغة وعلم الكلام.

- أبو القاسم محمد بن أحمد السبتي (ت760هـ/1360م): وهو من الأشراف الحسنيين، درس بمدينة سبتة وكان فقيها أديبا لغويا. وجامعا بين المذهبين الشافعي والمالكي، وتولى القضاء بغرناطة[1].

- انتشار التصوف والطرق الصوفية: ظهر التصوف حوالي القرن الثاني الهجري في شكل زهد وورع، وكان عبارة عن احتجاج على الانحراف عن المبادئ الإسلامية، ثم تطور حتى صار نظاما للعبادة اتجاها نفسيا وعقليا خاصا[2]، وعرفه ابن خلدون بأنه:"العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما أقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة".[3] وقد انتشر التصوف في العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، وكان يستند في أصوله ومبادئه إلى الإسلام ومضمونه، ويقتبس من الكتاب والسنة[4]، ودخل التصوف إلى بلاد المغرب على شكل زهد وورع، ثم تطور إلى تصوف فلسفي نتيجة عدة مؤثرات

[1]- عبد الرحمن بالأعرج، المرجع السابق، ص 272.
[2]- نفسه،274.
[3] - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص863.
[4] - عبد العزيز الفيلالي، المرجع سابق،ص384.

أهمها اتصال المغاربة بالمشارقة عن طريق الحج والرحلة واطلاعهم على مؤلفات ومذاهب واتجاهات الصوفية بالمشرق، والتزود بمصنفاتهم التي نقلوها، خاصة رسالة القشيري[1].

وكتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي[2].

شهد المغرب الإسلامي ازدهار تيار التصوف، الذي انتشر بقوة منذ نهاية القرن(6هـ/12م) وانتقل التصوف من كونه ظاهرة دينية خاصة ببعض المتصوفة إلى انتشار وسط المجتمع وأخذ صبغة ثقافية كبيرة، واعتقد كثير من الأمراء السلاطين في رجال الصوفية، وقاموا بالسعي إلى احتوائهم وجعلهم تحت المراقبة والسيطرة نظرا لما كانوا يتمتعون به من شعبية كبيرة لدى الناس[3].

أما بمصر والشام فكان التصوف من السمات البارزة للحياة الدينية والاجتماعية وأدت أحداث العالم الإسلامي خاصة الهجمة الصليبية وحركة التتار والمغول والاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية والاجتماعية إلى نزوع عام نحو تيار التصوف. كما أصبحت مصر مقصدا لرجال التصوف من بقية الأقطار الإسلامية الأخرى، خاصة من العراق والمغرب، ونتيجة لذلك ازدهرت الحركة الصوفية، وأسست عدة طرق صوفية. لقد كان وجود المدرسة الشاذلية[4] الأم بمصر ومدفن الشاذلي

---

[1]– **القشيري**:هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الإستوائي القشيري النيسبوري الشافعي المحدث الصوفي ولد سنة 376هـ في شهر ربيع الأول في بلدة "إستوا"ونسبته قشيري إلى بني قشير بن كعب، الإمام القشيري، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، ج1، علق عليه عبد اللطيف حسن بن عبد الرحمان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص3.

[2]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص866.

[3]– عبد الرحمان بلأعرج، المرجع السابق، ص 275.

[4]**المدرسة الشاذلية**: تعد الشاذلية من أهم الطرق الصوفية التي انتقلت في بلاد المغرب الإسلامي وكان منبع تأسيسها وشؤونها في مصر حيث أسسها أبو الحسن الشاذلي، أمال عثمان شريف، التأثير الروحي لأبي الحسن الشاذلي في مصر خلال القرن السادس، السابع والثامن هجري الموافق ل الثاني عشر، الثالث عشر والرابع عشر ميلادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف لعرج جبران، سعيدة الجزائر، 1438هـ/2017م، ص1.

بصحراء عيذاب جعل هذه البقاع مقصودة بشكل كبير من طرف المغاربة للزيارات[1]، ونسجت علاقات روحية وثقافية وطيدة بين مريدي الطريقة في بلاد المشرق والمغرب. هذا وقد ارتبط كبار المتصوفة بالمغرب الإسلامي مع نظرائهم المشارقة بعلاقات جيدة. وتوثقت الصلات الروحية بين المتصوفة من بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق عن طريق اللقاءات والزيارات، وشكلت بذلك جسر تواصل ثقافي ميزه انتشار التصوف السني بالخصوص.

ولما كان المتصوفة في العالم الإسلامي أثر كبير في المجتمع، وكان لهم الكثير من الأتباع والمريدين، فقد كان بيدهم توجيه هؤلاء وتعليمهم وتربيتهم روحيا وعلميا عن طريق دروس التصوف في الخانقاوات والزوايا والربط، التي انتشرت بالمغرب الإسلامي وبلاد المشرق وكان يلتقي فيها شيوخ التصوف والمريدون. وكان بعض المتصوفة من المغرب الإسلامي قد تولى التدريس بالمؤسسات الصوفية المشرقية بل ورئاستها مثل: حجلة التلمساني(ت776هـ/1375م)الذي تولى مشيخة صهريج منجك بظاهر القاهرة، وكان به مجموعة من المتصوفة[2].

كما انتشرت بين المتصوفة بالبلدين كتب معينة في التصوف تداول دراستها الطلبة المشارقة والمغاربة على حد سواء مثل: مقالات الهروي ورسالة القشيري وإحياء علوم الدين للغزالي وكتاب الشفاء للقاضي[3] عياض[4].

---

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص43.

[2]- ابن التغري بردي، المصدر السابق، ج11، ص131.

[3]-**القاضي عياض**: الإمام العلامة الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي.قاضي مالكي، العلامة والفقيه والمؤرخ الذي كان من بين الناس العارفين بعلوم عصره، كانت حياته موزعة بين القضاء والإقراء، والتأليف، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج20، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، ص212-213.

[4]- ابن خلدون ، المقدمة، المصدر السابق، ص866.

وهكذا كان للجانب الديني الأثر الكبير في توثيق العلاقات الروحية والدينية والثقافية بين المغرب الإسلامي وبلاد المشرق عن طريق رحلات المغاربة إلى المشرق والبقاع المقدسة بمختلف فئاتهم من الطلبة والعلماء والحجيج والمتصوفة، والتقائهم بنظرائهم المشارقة، ما مكن من نسج علاقات وطيدة فيما بينهم تتضح ملامحها التبادل الثقافي الواسع النطاق، والذي جمع الميادين الدينية والروحية والعلمية بمختلف جزئياتها ومركباتها، وكان هذا التبادل من الطرفين في عملية أخذ وعطاء وتأثر وتأثير .

ثالثاً:دور العامل التعليمي في تحقيق التواصل الثقافي.

المؤلفات المشرقية الوافدة لبلاد المغرب: تشمل المؤلفات التي كتبت أرض المغرب بفضل عناية حكام المغاربة، لقد حل المشارقة في مدن وعواصم بلاد المغرب، وألف بعض منهم أكبر أعمالهم في المغرب، فيها الموجود وفيها المفقود، وتلك المؤلفات تعتبر مشرقية الأصل والمصدر مغربية المولد، لأن هؤلاء القادمين درسوا العلوم وأخذوا المعارف من العلماء المشارقة في أوطانهم، وأغلب من وجدت مؤلفاتهم يذكرون شيوخهم المشارقة وعناوين كتبهم في خطب ومقدمات مؤلفاتهم أو ضمن المصنف.

ومن هذه المؤلفات نذكر:

- **مؤلفات الطبيب إسحاق بن عمران**[1]:ارتبط ذكر اسم هذا الطبيب وشهرة مؤلفاته ببلاد المغرب، وعلى ما يبدوا أن كل كتبه قد وضعها بالقيروان، وذلك لأن المنتبه لمسيرة ابن عمران يجد ذكر كل ما تعلق بحياته في المرحلة المغربية فقط، كان لإسحاق عدة مؤلفات نذكر فيما يلي:

[1] – أنظر الملحق رقم 2.

- المنالنخونيا:كتاب موجود ومطبوع، وهو عبارة عن مقالتينفي داء المنالنخوليا، وهي المرض المعروف بالسوداوية وبمرض الوسواس، ولم يرد اسم هذا المرض في الكتب العربية على أشكال مختلفة منها مالنخونية، ملنخونيا، مالنخوليا وهو الكتاب الوحيد الذي وصل من مؤلفات إسحاق بن عمران[1].
- رسالة في حفظ الصحة وتدبيرها:وهي رسالة قصيرة من إسحاق إلى بعض لإخوته في حفظ الصحة وتدبيرها في ثلاث صفحات ذكرها صاحب العقد الفريد.

- **مؤلفات الطبيب إسحاق بن يليمان الإسرائيلي**:كان كحالة في بدايته،وقد تتلمذ في علمي الطب والفلسفة على يد إسحاق بن عمران، ثم خدم عبيد الله الشيعي، وألف كتبه الطبية والفلسفية وقد وضعها بالمغرب التي لم يرحل عنها لغيرها بعدما استوطنها حيث كانت وفاته[2].

من مؤلفاته:

- كتاب الحميات:مؤلف في المادة الطبية موجود، وقال صاحب كشف الظنون(ت1067هـ/1656م)،"كتاب الحميات أجود صنف به"وأضاف قائلا:"وهي خمس مقالات ولم يوجد في هذا الفن مثله، اختصرها موقف الدين البغدادي"[3].
- الأغذية والأدوية:مصنف مجود في المادة الطبية يفتحه صاحبه بالتنويه إلى أهمية الغذاء بالنسبة إلى الصحة"قال إسحاق بن سليمان: إن السبب الذي دعا الأوائل إلى الكلام في طبائع الأغذية هو أفهم لما عنوا بالبحث عن الصحة وأسبابها، والأمور الدعية إلى حفظها، وجدوا

[1] – خديجة طاهر منصور، علماء المشارقة ببلاد المغارب ودورهم في الحركة الفكرية(668-140هـ/757-1269م)، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، تخصص تاريخ وسيط، إشراف عبد القادر بوباية، جامعة وهران، الجزائر، 1440هـ/2019م،ص249.

[2] – نفسه،ص252.

[3]– حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج5،دار الفكر، بيروت، 1427-1428هـ/2007م، ص164.

الأبدان مضطرة إلى أمرين: إعطاؤها من الغذاء ما يصلحها مما به قوتها وقوامها.... والآخر: ففي ما يجتمع في الأبدان من قسم الغذاء المخالف لمزاجها"[1].

- مدخل صناعة الطب:ورد بعنوان"المدخل في الطب" وذكره حاجي خليفة.كتاب النبض، كتاب في الترياق،كتاب دليل الأطباء.
- بستان الحكمة:مصنف في الفلسفة، وقيل بستان الحكمة أو بستان الحكيم، وفيه مسائل من العالم الإلهي.كتاب في الحدود، كتاب في المنطق،كتاب في الحكمة[2].

- **مؤلفات عبيد الله بن عمر بن أحمد بن محمد بن جعفر القيسي**:له كتب مؤلفة كثيرة في الفقه، والحجة والرد، والقراءات والفرائض وغير ذلك[3].
- **كتب الرياضي أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني**:وبما أنه سكن القيروان، ثم وفد على الأندلس، فيمكن أن تكون معظم كتبه في محل إقامته الطويلة أي القيروان ومنها:

- لقيط المرجان(مؤلف وصف بأنه أكبر من عيون الأخبار)، سراج الهدي في القرآن وشكله وإعرابه ومعانيه، الرسالة الوحيدة المؤنسة، قطب الأدب(وهو كتاب في الأدب)، عيون الأخبار،المرصعة، المدبجة، مسند في الحديث[4].

تلك هي المؤلفات التي وضعها العلماء المشارقة الوافدين إلى بلاد المغرب، ومن خلال عناوين الكتب المتنوعة فإنها شملت مجالات متعددة من العلوم وضروب من الفنون، ومن تلك المؤلفات نهل المغاربة علوم بلاد المشرق حيث تداولها بالدراسة والرواية لأهميتها ثم أتبعوها بالذيول والشروح، ومن تلك المصنفات ما يزال على شكل مخطوط ومنها ما طبع منها ما هو مفقود ومجهول المصير.

---

[1]- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، الأغذية والأدوية، تح فاطمة الأخضر،ج1، المطبعة الرقمية BBP، تونس، سبتمبر2015، ص1.

[2]- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، المصدر السابق،ج1، ص12.

[3]- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس،تح صلاح الدين الهواري، ج1، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص232.

[4] - نفسه، ص 232.

المؤلفات الوافدة مع العلماء المشارقة إلى بلاد المغرب: هذه المؤلفات نوعان، منها ماهي من تأليف العالم المشرقي الوافد على القطر المغربي، وفي هذا يقع خلط بالنسبة للعلماء القادمين، بين الوافدة والمؤلفة التي أتموها على الطريق، ومنها من هي من تصنيف الشيوخ والعلماء المشارقة الذين لم يأتوا إلى البلاد المغربية،وإنما جلبت مؤلفاتهم مع العلماء المشارقة الوافدين أعلام الدراسة.ومن المؤكد أن يكون صاحب هذه الرحلات جلب بعض الكتب المشرقية، في مختلف المجالات العلمية إلى المغرب وذلك لمطالعتها أثناء الرحلة أو لبيعها هناك أثناء الحاجة.

- **المدونة الإباضية**:وتعرف بالغانمية:وهو كتاب مؤلف من طرف العالم وافد وهو أبي غانم بشر بن غانم الخراساني[1]، ولكن لا يعرف إن كان صاحبها قد ألفها بالمشرق وأتمت هناك ووفد بها على بلاد المغرب، أم أنه أتم تأليفها في طريقه لبلاد المغرب، أو ربما في تاهرت، وتعتبر الغانمية أكبر دليل علمي للتوافد والتواصل المشرقي المغربي[2].

كانت المدونة تحمل رواية شعيب بن المعروف ورواية المغاربة فذلك يعني أن تكون قد أتم تأليفها في بلاد المغرب، وبالضبط في جبل نفوسة أو في طريقه، أما الاحتمال الثاني فهو أن هذه المدونة التي كتب لها البقاء والانتشار فيما بعد أضيفت إليها رواية من طرف الناسخ المغربي وهو عمروس بن فتح النفوسي(ت393هـ) الذي قام بنسخ مدونة أبي غانم بعد ما أودعه إياها أبي غانم وسميت على اسم الذي نسخها، وتكمن أهمية النسخة العمروسية (المغربية)كتاب المدونة في كونها النسخة الوحيدة التي بقيت لدى الإباضية في بلاد المغرب، بعد أن قضى العبيديون على المكتبة الرستمية

[1]– **أبو غانم الخراساني**:هو الإمام الحافظ الفقيه أبو غانم الخراساني هو من أهل خراسان،قدم إلى لبصرة لتلقي العلم على يد علماء الإباضية وخاصة الإمام أبي عبيدة، ونسبه من خراسان وليسله تاريخ محدد لسنة ميلاده، الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص323.

[2]– أحمد السيابي، التواصل الإباضي بين عمان و البلاد مغاربية، ط1، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 1435هـ/2014م ص37.

في تاهرت وكانت نسخة مباركة اعتمد عليها الفقه الإباضي فيما بعد، فكانت كالأصل كله، ليس فيها زيادات وهي التي انتقلت إلى المشرق[1].وعادت النسخة المغربية إلى المشرق،وانتقلت فيما بعد إلى القاهرة[2].

- **كتب أو ديوان ابن جمع:** هذه المؤلفات تعود لعالم الإباضية ابن الجمع الذي توفي في سجلماسة، وكان ابن الجمع قد أوصى بكتبه إلى تلميذه المغربي أبي الربيع سليمان بن زرقون النفوسي الذي كان مصاحب له في تلك الرحلة، يقول الدرجيني(ت670هـ/1271م):"ولما حضرت ابن الجمعي الوفاة آثر أبا الربيع بديوانه، فأوصى له به"[3].

تسلم أبو الربيع كتب ابن الجمع، فاستفاد منها الاستفادة الكبرى حتى صار علما من أعلام الإباضية في بلاد المغرب لدرجة أنه عندما عاد من سجلماسة ودخل قسطيلية[4]من بلاد الجري، اضطرت هذه المدينة كلها من أجله واحتفلت به أيما احتفال، وأخذ الناس يسألونه في فنون العلم المختلفة، فكان يجيبهم عما يسألونه[5].

---

[1] – نفسه، ص37.

[2]– وقد انتقلت إلى دار الكتب المصرية، بعد تأميم الأوقاف في مصر ووضعها تحديد الحكومة، ومنها أوقاف الإباضية، السيابي، المرجع السابق، ص38.

[3]– الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م، ص110.

[4] – **قسطيلية**:من بلاد الجريد، قطر كبير فيه مدن كثيرة قاعدتها توزر. مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار في وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، دط، دب، دت، ص155.

[5] – حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، 406.

- **كتب ابن الأصبهاني أبي زكريا يحي بن عبد الرحمان بن عبد المنعم القيسي الواعظ**:كتاب الروضة الأنيقة،كتاب الخلافيات بين الشافعي وأبي حنيفة.
- **مصنفات الترسي عبد اللطيفبن أبي الظاهر أحمد الهاشمي الصوفي الوافدة معه**: ومن هذه المصنفات التي جاء بها نذكر:

- كتاب الدليل في الطريق من أقاويل أهل التحقيق.
- تأليف إباحة السماع، كتاب في التصوف ويقول ابن الأبار:"وله تواليف في التصوف منها تأليف في إباحة السماع قرأت عليه أكثره".
- عوالي النقيب: مؤلف في التصوف، يقول ابن الأبار:"قرأت عليه عوالي النقيب تمييز له بإشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة وستمائة، وكان قد قارب التسعين"[1].
- نزهة الناظر في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني[2]: انفرد حاجي خليفة بالإشارة إلى هذا المؤلف في كشف الظنون[3].

وهذا فيما يخص المؤلفات الشخصية لعلماء المشارقة والذين أدخلوها بوفادتهم على بلاد المغرب، ولكن العلماء المشارقة بصفتهم علماء لم يقتصروا على مؤلفاتهم تلك، وإنما رافقتهم مؤلفات متنوعة المواضيع والعناوين لعلماء المشرق.

وكان علماء المغرب يبعثون بكتبهم لتجس على رواق المغاربة في الجامع الأزهر مثل كتاب القواعد للإمام المقري الجد، كما بعث لسان الدين الخطيب نسخة من كتابه الإحاطة لتوقف على أهل

[1]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص65.

[2]- **عبد القادر الجيلاني**: الشيخ الإمام الغانم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن حنكي دوست الجبلي الحنبلي، شيخ بغداد.مولده بجيلان في سنة471هـ/562م، شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج20، ص439.

[3]- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج5، ص494.

العلم في خانقاه سعيد السعداء واعتمد عليه كثير من المؤرخين كالمقريزي والسيوطي وابن دقماق والحافظ ابن حجر العسقلاني [1].

المناظرات العلمية: إن المناظرات فرصة يتمكن من خلالها العلماء من تبادل الآراء والنقاش حول أفكار معينة في أصناف مختلفة من العلوم.عرفت المناظرات العلمية منذ أقدم العصور، وفي العلم الإسلامي ذاع صيت مناظرات الخليفة العباسي المأمون الذي خصص لها يوما في الأسبوع لمناظرة العلماء والفقهاء والمتكلمين[2].وكانت المناظرات العلمية وسيلة فعالة وعقلية و منظمة للرد على أهل المذاهب التي كانت عبارة عن فرصة يتمكن من خلالها العلماء من تبادل الآراء والنقاش حول أفكار معينة في أصناف مختلفة من العلوم. وقد عمل ملوك المغرب الإسلامي وسلاطين الدولة المملوكية على إحياء مجالسهم بالمناظرات، وكان السلطان أبو تاشفين عبد الرحمان الأول يجلس في مجلسه، ويناظر أمامه العلماء مثل المناظرة التي حدثت بحضرته بين الشيخين العالمين أبي زيد عبد الرحمن بن الإمام، وأبي موسى عمران المشدالي في مسألة التقليد والاجتهاد[3]. واعتنى المماليك بالمناظرات خاصة وأنهم كانوا في حرب مستمرة ضد بعض العقائد كالشيعة الذي تعد مناظراته الكثيرة إحدى مميزات الجوار الفكري بين مختلف المذاهب والآراء وفي الفقه على وجه الخصوص[4].

وازدادت أهمية المناظرات وكثر انتشارها تبعا لحركة بناء المدارس، حيث كان المكان الأمثل لالتقاء أهل العلم من جميع المذاهب والتخصصات العلمية، وفيها كان يتم تبادل الآراء حول المسائل المختلفة في جميع أصناف العلوم، وساهمت هذه المناظرات في تشجيع الحوار الفكري والعقلي بين علماء البلدان الإسلامية على اختلاف مذاهبهم، كما كانت مكة المكرمة خاصة في

[1]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص288.
[2]- أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1927م، ص406.
[3]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص183.
[4]- خديجة طاهر منصور، المرجع السابق، ص329.

موسم الحج من أكبر المراكز العلمية التي كانت تجري فيها المناظرات التي حدثت بين علماء المغرب وعلماء المشرق آنذاك نذكر:

- **مناظرة الشيخ ابن رشيد السبتي للشيخ شمس الدين الأصفهاني في علوم اللغة:** يعد الشيخ شمس الدين محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلماني الأصفهاني(ت687هـ/1287م)من العلماء المشارقة الذين ذاع صيتهم في المناظرات، وكان عالما في الحديث وأصول الفقه وأصول الدين. والمنطق والخلافيات، والنحو الأدب، وارتحل من دمشق إلى مصر واستقر بالقاهرة، وتولى التدريس بمشهد الحسن والإمام الشافعي، وقصده الطلبة من المشرق والمغرب[1].وممن جلس للأخذ عنه في مكة المكرمة أبو عبد الله محمد بن عمر الفهري المعروف إبن رشيد السبتي (ت721هـ/1321م)[2]، وذكر في رحلته وفي أثناء ترجمته للشيخ شمس الدين الأصفهاني[3] استخدمت فيها مجموعة آراء العلماء الآخرين من المغرب والمشرق[4].وكان موضوع المناظرة هو دلالة الحرف في اللغة العربية واختلاف علماء اللغة في كون أن الحرف العربي يحمل دلالة مستقلة أم أنه يحتاج لأن يضاف إلى حروف أخرى حتى يصير له الدلالة[5].

ومن خلال هذه المقابلة العلمية يتضح مدى احترام ابن رشيد السبتي لآداب المناظرة توقيره لشيخه الأصفهاني حيث أنه اعترض بأدب على رأي شيخه في المسألة، ولما سمح له بالكلام أبدي

---

[1]- ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج13، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، 1985م، ص219.

[2]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت،1329هـ، ص216.

[3]- ابن رشيد، المصدر السابق، ص351.

[4]- عبد السلام المختار شقور، المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية بحث مقدم إلى مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، مملكة العربية السعودية، 1426،ص118.

[5]- نفسه، ص119.

رأيه مستشهدا بأقوال العلماء، كما أنها تبين مدى موسوعية علماء المغرب الإسلامي واستعدادهم للخوض في المسائل الخلافية بكل حرية وأمام كبار العلماء المشارقة[1].

- **مناظرة الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي العبدري لأحد شيوخ الشافعية في مسألة البيع بالإشارة:** قام الشيخ المحدث الأديب أبو عبد الله العبدري برحلة من المغرب إلى المشرق قاصدا الحج سنة(688هـ/1288م)وكان عند مروره بالحواضر المغربية والمشرقية يبحث عن العلماء من أجل التحصيل، وكان حريصا على معرفة دقائق الأمور في العلم،ولما بلغ الإسكندرية وفي مجالس الشيخ زين الدين الواسطي جرت له مناظرة مع أحد الشيوخ الشافعية لم يذكر العبدري اسمه في رحلته[2]،وكان موضوع المناظرة مسألة خلافية بين فقهاء المالكية والشافعية وهي البيع بالإشارة حيث يرى المالكية أنه جائز بحكم كونه عرفا، أما الشافعية فكانوا يرون غير ذلك وأن المشتري لا يبتاع سلعة بالإشارة إلا إذا كان يتعذر عليه الكلام[3].

الإجازة العلمية: تعرف الإجازة العلمية على أنها الشهادة التي يقوم الأستاذ بتسليمها إلى الطالب[4]، وكانت تبادل الإجازات العلمية بين علماء وطلبة المغرب الإسلامي ونظرائهم من دول المشرق من أبرز مظاهر العلاقات الثقافية في الجانب العلمي، وكان الطلاب يترددون باستمرار في المراكز الثقافية في المغرب والمشرق للتعمق في العلوم، حتى إذا عادوا إلى بلدانهم وتهيئوا للتدريس كانوا على بينة وإلمام بالمواضيع التي يمكن أن يطرحها عليهم الدارسون[5].

---

[1]- ابن رشيد، المصدر السابق، ص352.

[2]- العبدري، المصدر السابق، ص123.

[3]- عبد السلام شقور، المرجع السابق، ص113.

[4]-ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير،تح محمد الفاسي، دار المغرب لتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1986، ص44.

[5]- أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973، ص245.

وكان طلبة المغرب الإسلامي لا يكتفون بالإجازات التي كانت تمنح لهم من طرف شيوخهم بالمغرب،بل كانوا يرتحلون إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، خاصة مصر لأخذ العلم من منابعه، وعن الشيوخ المبرزين ونيل الإجازات عنهم، وعبر عن ذلك أحد الباحثين بقوله:"وذلك ما يمكن تسميته بالتبادل الثقافي بين بلدان المغرب والمشرق، حيث لعبت هذه الطريقة دورا هاما في توحيد الثقافة والعلم وامتزاج طرائقها وأساليبها المتعددة في الهيئات العلمية مما وحد المناهج التعليمية وطرائق البحث في العالم الإسلامي"[1].

وكانت الإجازة تعني عند العلماء الإذن في الرواية[2]،وكانت في الأصل تمنح لدارسي علم الحديث، ثم عممت على سائر العلوم، وكانت تدل على المستوى العلمي الذي بلغه الطالب بعد تحصيله لعدة علوم نقلية وعقلية، مما كان يهيئه للتدريس[3].هذا واشترط في المجيز أن يكون عالما لما يجيز به وثقة في دينه وروايته[4]وأن يكون المستجيز من أهل العلم، وبعد الإجازة يصبح الطالب شيخا ويترقى إلى مصاف العلماء والفقهاء والأدباء، وتتميز مكانته في المشيخة العلمية بين أقرانه[5].

وتزخر تراجم العلماء المغاربة والمشارقة بأنواع الإجازات التي أخذها هؤلاء عن بعضهم البعض، وكان من عادة أي عالم أن يكثر الإجازات في رحلته العلمية، حيث يأخذ من كل مدينة يمر بها إجازة من شيوخها، وذلك ما يدل على سعي طلاب العلم في الاستزادة من الإجازات لتدعيم مصداقيتهم العلمية، لذلك كان العلماء والطلبة المرتحلون يستغلون فرصة مرورهم بإحدى الحواضر في المشرق أو المغرب لنيل الإجازة.

---

[1]- لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005م، ص101.

[2]- الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص15.

[3]- عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص356.

[4]- الونشريسي، المصدر السابق،ج11، ص16.

[5]- عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص375.

وذكر عبد الباسط بن خليل أنه أخذ العلم عن الطبيب موسى بن صموئيل بن يهودا الإسرائيلي بتلمسان فأجازه[1]، وكان قاسم بن سعيد العقباني لما حضر بمصر إملاء ابن حجر وإستجازه فأجازه ابن حجر العسقلاني[2]،وإجازة ابن مرزوق الخطيب لقاضي المدينة المنورة برهان الدين بن فرحون المدني[3]،وكانت الإجازات عادة ما تكتب في أواخر المؤلفات التي كان الطلبة يرغبون في الإستجازة فيها، ففي تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن وجد في آخر أسفل النسخة إجازتان يرجع عهدهما إلى ثلاثين سنة قبل وفاة المؤلف وهي بخط الثعالبي وفيها ذكر المستجاز طريقته نشر تأليف الثعالبي خصوصا في التفسير، ومما جاء فيه:"قرأ ت على الشيخ العالم المتفنن المتحدث الزاهر الورع الحاج المبرور والحافظ المقرئ الثبت أبي زيد سيدي عبد الرحمان ابن الشيخ الصالح الزاهد سيدي محمد بن الشيخ الصالح الزاهد المتبرك به سيدي مخلوف نفعني الله بهم جميعا،وأعاد علي بركاتهم، ختمت عليه من تواليفه، النفسية وتصانيفه الرفيعة التي أقام الله بها الدين...."[4].وكتب الثعالبي تحت إجازة تلميذه ما يلي:" الحمد الله اسمع علي الفقيه المحب الفاضل إسماعيل بن إبراهيم السنجاسي هذا السفر إلى سورة سبأ وأجزته أن يعني ويقرئه متأنيا ومتحريا بالوقف على الخوض فيما لم يصل إليه فهمه"[5].وكان بعض الشيوخ يكتب نسب المجاز له في الإجازة، وذر الشيخ أبو الفضل بن الإمام التلمساني عند تعرضه لنسب الشيخ المقري قائلا:"نطقت به الألسن والمكاتبات والإجازات".كما اشتهر بالبلدين أن يذكر على الإجازة اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ الإجازة، خاصة في مصر التي تعددت بها المذاهب السنية[6].

---

[1]– عبد الباسط خليل،المصدر السابق، ص44.

[2]– ابن مريم، المصدر السابق، ص148.

[3]– مخلوف ، المصدر المرجع السابق، ص 222.

[4]– المهدي البوعبدلي، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عير العصور ونبذ مجهولة من تاريخ بعض أعلامها، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26، جويلية أوت، 1975، ص154.

[5]– المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص156.

[6]– المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص18.

التصوف: تعد ظاهرة انتشار التصوف في المغرب الإسلامي ومصر والشام خلال العصر الوسيط من أبرز مميزات ومظاهر العلاقات الثقافية التي جمعت بين البلدين، ودليلا على عمق الروابط الروحية بينهما وتأصلها.وما ميز التصوف خلال هذه الفترة خروجه عن صيغته الدينية البحتة، وأخذه صبغة اجتماعية، خاصة بعد تأسيس الطرق الصوفية وانتساب عامة المجتمع في البلدين إلى هذه الطرق.

والتصوف [1] قديم في المجتمع الإسلامي، وظهر حوالي القرن الثاني للهجرة على شكل زهد وورع، وكان عبارة عن احتجاج عن الانحراف عن المبادئ الإسلامية، ثم تطور حتى صار نظاما للعبادة واتجاها عقليا ونفسيا خاصا[2].

وعرفه ابن خلدون بأنه:"العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما أقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة[3]"

وقد انتشر التصوف في العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، وكان يستند في أصوله ومبادئه إلى الإسلام ومضمونه ويقتبس من الكتاب والسنة[4].

واشتهر تياران للتصوف في بلاد المغرب، يمكن تسميتهما بتيار التصوف الفلسفي وتيار التصوف السني، وتزعم هذا الأخير القطب أبو مدين شعيب الإشبيلي دفين العباد

[1]– هناك إخلاف في تعريف التصوف لهذا أنظر: ابن خلدون، شفاء السائل لتهذيب المسائل، تح أغناطيوس عبده خليف السيوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1959، ص27.

[2]– عبد الرحمان بن لأعرج، المرجع السابق، ص 365.

[3]– ابن خلدون، المقدمة،المصدر السابق، ص863.

[4]– عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص384.

(ت595هـ/1198م)[1]، الذي أخذ التصوف عن عبد القادر الجيلاني(ت561هـ/1166م) ، ببغداد والذي كان متأثرا بفكر الغزالي في هذا الجانب[2].

[1]-ابن مريم، المصدر السابق، ص108.

[2]- الشعراني، الطبقات الكبرى المسماة لواقع الأنوار في طبقات الأخيار، ج1،المطبعة العامرية، مصر، 1315هـ، ص108.

الخاتمة

الخاتمة:

أدت الرحلات بين المغرب والمشرق إلى تأثيرات إيجابية في مضمار الثقافة، فقد عكست إلى حد كبير ما كان سائدا في بلاد المشرق ونقله إلى بلاد المغرب من الأفكار و العلوم المختلفة، ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى النتائج التالية:

- تعتبر الرحلة بشكل عام عملية سفر وترحال بغرض الاكتشاف، وقد جاءت لتلبية دوافع سياسية، اقتصادية، علمية وأخرى دينية، فكان الرحالة مكتشفا، مغامرا، حاجا، عالما أو طالب علم.
- كانت هذه الرحلات من أهم المصادر التي نقل عنها المؤرخون والجغرافيون الكثير من أوصاف البلاد النائية لأنها تمتاز بالدقة والواقعية والصدق.
- لقد تعددت دوافع الرحلة، فكانت رحلة الحج وزيارة الأماكن المقدسة في مقدمة هذه الدوافع، بالإضافة إلى دوافع اقتصادية كالتجارة، سياسية كالوفود والسفارات، ودوافع سياحية وأخرى صحية. كل هذه الدوافع ساهمت في تحقيق التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب الإسلاميين.
- إن الرحلات التي يقوم بها الرحالة بين المشرق والمغرب تمثل أهم المظاهر الحضارية في مختلف العصور الإسلامية.
- لقد جعل العرب للمغرب نوعا من الوحدة السياسية تقودها القيروان التي كانت أولى المراكز العلمية بالمغرب، فقد كانت تمثل قاعدة إسلامية قبلة للمغاربة في طلب العلم.
- توطدت العلاقات بشكل كبير عن طريق الرحلة بين المشرق والمغرب، وقد كانت الرحلة في طلب العلم ورحلة الحج من الفرص الثمينة التي توفرت لطلاب المغرب الإسلامي ومكنتهم من لقاء المشايخ والعلماء ونسج العلاقات فيما بينهم، وأتاحت لهم فرصة الإطلاع على علوم ومناهج المشارقة.

- هذا ومكن توفر مصر على بعض المنشآت التي خصصت للمغاربة على أراضيها كالرباطات والخانقاوات والمدارس من التفرغ لطلب العلم في جو ميزه وجود عدة طلبة من عدة أقطار إسلامية في مكان واحد، ما سهل عملية التواصل الثقافي والتبادل العلمي.
- كما ساهم العلماء الذين ارتحلوا من المغرب الإسلامي إلى مصر والشام والحجاز، أو الذين ارتحلوا من المشرق إلى المغرب في نسج علاقات قوية مع بعضهم البعض في المؤسسات التعليمية التي انتشرت بالمدن المملوكية خاصة القاهرة، ودمشق، والقدس، ومكة والمدينة.
- لقد أنتج الاتصال الثقافي بين المغاربة والمشارقة عدة مظاهر وآثار في الجوانب الدينية والروحية والعلمية والفنية، فانتشر المذهب السني. كما ألقت العلاقات بظلالها على الحياة الروحية فعم التصوف في القطرين، وأصبح من مظاهر الحياة الدينية، وانتشرت تعاليم الطرق الصوفية التي بدأت تظهر بمصر وانتقلت إلى المغرب الإسلامي عن طريق الرحلة بين البلدين خاصة الطريقة الشاذلية.
- ونالت الجوانب العلمية النصيب الأوفر فيما يخص مظاهر العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب، حيث كان التأثر والتأثير متبادلا بين العلماء في مناهج وأساليب التعليم، كما تبادلوا الكتب والمصنفات التي أصبحت من المقررات الدراسية في البلدين. وقد كانت المناظرات العلمية من أبرز المظاهر التي تجلت من خلالها العلاقات الثقافية، حيث أتاحت الفرصة لتقييم المستوى العلمي لعلماء البلدين.
- إن التواصل الثقافي بين بلاد المغرب والمشرق كان له أبعاد إيجابية على الجوانب الثقافية والعلمية في العصر الوسيط فكان هناك عملية أخذ وعطاء علمي ساهمت في تشكيل ثقافة إسلامية موحدة.
- أما تأثيرات المشرق على بلاد المغرب في جانبها السلبي فقد تمثلت في تلك الاتجاهات السياسية والمذهبية التي حلت ببلاد المغرب خاصة منذ قيام الدولة العبيدية التي حاولت فرض المذهب الشيعي بحد السيف ثم ضيقت الخناق على حرية المعرفة ومنعت الإفتاء بغير

المذهب الشيعي وتعقبت العلماء ومنعتهم من التدريس بالمساجد والاجتماع في بيوت العلماء إلا سرا.

وختاما نأمل أن يكون هذا العمل العلمي الذي حاولنا من خلاله الالتزام بالموضوعية والأمانة العلمية، إضافة جديدة لباقي الأبحاث الأكاديمية التي اهتمت بهذا الموضوع ونسأل الله تعالى العون والتوفيق والسداد.

الملاحق

الملحق رقم 01[1]



الجامع الأزهر

[1] عبد الرحمان بلعرج، المرجع السابق، ص 359.

ملحق رقم 2:

كتاب إسحاق بن عمران إلى بعض إخوانه.

" اعلمك- رحمك الله أن الخام والبلغم يظهران على الدم والمر بعد الأربعين سنة فيأكلانهما، وهما عدو الجسد وهادماه، ولا ينبغي لمن خلف الأربعين سنة أن يحرك طبيعة من طبائه غير الخام والبلغم، ويقوي الدم جاهدا، غير أنه ينبغي له كل سبع سنين أن يفجر من دمه شيئا، ومن المرة مثل ذلك،لقلة صبره على الطعام الذيذ والمشروب الروي، خيرا من العافية، ومما تأخذ نفسك وتحفظ به صحتك أن تلزم ماكتب به إليك:

في شهر يناير: لا تأكل السلق، وأشري شرابا شديدا كل غداة.

وفي شهر فبراير: لا تأكل السلق.

وفي مارس: لا تأكل الحلواء كلها وتشرب الأفسنتين(نبت له ورق كالصعتر)، في الحلاوة.

وفي أبريل: لا تأكل شيئا من الأصول التي تنبت في الأرض، ولا الفجل.

وفي مايه: لا تأكل رأس شيء من الحيوان.

وفي يونيه: تشرب الماء البارد بعدما تطبخه وتبرده على الريق.

وفي يوليه: تجنب الوطء.

وفي أغشت: لا تأكل الحيتان.

وفي سبتمبر: تشرب البن البقري.

وفي أكتوبر: لا تأكل الكراث نيئا ولا مطبوخا.

وفي نبنبر: لا تدخل الحمام.

وفي دجنبر: لا تأكل الأرانب[1].

[1] - خديجة طاهر منصور، المرجع السابق، ص 371.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم(رواية ورش).

ثانيا: المصادر:

1. ابن مريم أبو عبد الله الشريف التلمساني،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة، محمد بن أبي شنب،دط، المطبعة الثعالبية،دب، 1908م.

2. Abd albasit B et Adorne,deux recits de :voyage inedits en Afrique du nord au XV sieel, LAROSE editeurs, paris, 1936.

3. ابن بطوطة محمد بن عبد الله(ت776هـ/1373م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1، تحقيق محمد بن عبد المنعم العريان، مراجعة مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1996م.

4. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي (ت597هـ)، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

5. ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي(776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط2، مكتبة الخانجي، ج2، 1397هـ-1348هـ.

6. ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي(ت351هـ/692م)، تاريخ علماء الأندلس،ج1، تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م.

7. ابن القاضي أبو العباس أحمد بن أحمد المكناسي(ت1025هـ/1615م)، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال،مكتبة التراث، ج3، ، القاهرة، 1392هـ/1974م.

8. ابن تغري بردي يوسف، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تراجم جلال بن أحمد بن يوسف وسعيد بن علي بن رشيد، تح نبيل محمد عبد العزيز، مركز التحقيق التراث، دب، 1980ج5- 2، ص186.

9. إبن خلدون أبو زيد عبد الرحمان (ت808هـ/1406م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،(الأجزاء1-5-7)، مراجعة سهيل زكار،دار الفكر، بيروت، دط، دت.

10. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب اللبناني،دط، بيروت، 1981.

11. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، المقدمة، تح سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، دط،1421هـ/2001م.4

12. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، شفاء السائل لتهذيب السائل، تح الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 61959ابن حاجب، مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، تح د نذير حمادو، مج 1، دار إبن حزم، ط1، بيروت، لبنان، دت.

13. ابن عامر أبي عبد الله محمد ، رحلة إبن رشيد السبتي،دراسة وتحليل د أحمد حدادي، مطبعة إليت، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية1424هـ/2003م.

14. ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين بن علي بن محمد بن أبي القاسم (ت799هـ/1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن يحي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.

15. ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968.

16. ابن كثير الدمشقي أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت774هـ/1373م)، البداية والنهاية، ط6، الجزء13، مكتبة المعارف، بيروت، 1985.

17. ابن مرزوق الخطيب أبو عبد الله محمد التلمساني(ت 781هـ/1379م)،المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح ماريا خيسوس بغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

18. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، مج11، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.

19. أبو العباس ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص289.

20. أبي البكر المالكي، رياض النفوس، تح بشير البكوش، ج1، ط2، دار الغرب، بيروت، 1994م.

21. الإسرائيلي إسحاق بن سليمان، الأغذية والأدوية، تحقيق وتقديم وشرح فاطمة الأخضر، ج1،المطبعية الرقميةBBP، تونس، سبتمبر2015م.

22. البلوي خالد بن عيسى،تاج المفرق في تجلية علماء المشرق، تح الحسن بن محمد السائح، تح الحسن بن محمد السائح، ج2 ، دط، دب، دت، ص184..

23. بن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تح محمد الفاسي، أدولف فور، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1965م.

24. تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.

25. الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن فتوح بن عبد الله الأزدي(ت488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، تق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م.

26. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت670هـ/1271م)، طبقات مشائخ المغرب، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث-قسنطينة، ج1 1394هـ/1974م.

27. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد(ت748هـ/1348م)، ذيل تاريخ الإسلام، اعتنى به سالم باوزير،دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1419هـ/1998م.

28. الرندي ابن عباد النفزي، الرسائل الصغرى للشيخ إبن عباد النفزي الرندي، نشرها الأب بولس ع. نويا اليسوعي، مجلة المشرق، دط، دب، 1957م.

29. السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان(ت902هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت.

30. السلاوي أبو العباس أحمد(ت 1315هـ/189م)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تح محمد جعفر الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، 1954م.

31. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان(ت911هـ/1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1427هـ/2006.

32. الشعراني عبد الوهاب، الطبقات الكبرى المسماة لواقع الأنوار في طبقات الأخبار، ج1، المطبعة العامرية، مصر، 1315هـ.

33. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج20، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، دت

34. شهاب الدين أحمد بنعلي بن محمد بن حجر العسقلاني(852هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، دار الجيل، بيروت، 1993م.

35. عبد الباسط بن خليل، رحلة عبد الباسط، نشر وترجمة إلى الفرنسية روبيرت برونشفيك في كتاب

36. العبدري أبو عبد الله ، رحلة العبدري، تح علي إبراهيم كردي ، تق شاكر الفحام ، ط2 ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ،2005.

37. الفاسي أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي(ت832هـ/1428م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج2، مكتبة النهضة الحديثة، دار إحياء الكتب العربية، مكة المكرمة، 1956م.

38. الفرابي أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان(ت339هـ/950م)، إحصاء العلوم،تق علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، ط1، 1996م.

39. القاضي النعمان أبو قتيبة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون(ت363هـ/973م)، افتتاح الدعوة، تح فرحات الدرشاوي، الشركة التونسية للتوزيع- تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986م.

40. القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن(ت465هـ)، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات ، وضع حواشيه وعلق عبه عبد اللطيف حسن بن عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2007م .

41. القلصادي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي الشطي(ت891هـ/1486م)، رحلة القلصادي تمهيد الطالب ومنتهى للراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، تح محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.

42. القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي أحمد(ت821هـ/1428م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج8، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1985.

43. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم و المشيخات والمسلسلات، اعتناء إحسان عباس، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.

44. المالكي أبو بكر عبد الله محمد، رياض النفوس،ج1، تح بشير بكوش،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م.

45. المالكي خليل بن إسحاق الجندي ، مختصر العلامة خليل، صححه وعلق ووضع ترجمته العلامة خليل الشيخ أحمد نصر، الطبعة الأخيرة ج1، ، دار الفكر، 1401هـ/1981م.

46. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، دط، القاهرة، 2008.

47. مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار في وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، دط، دب، دت.

48. مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349هـ.

49. المراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح ج س كولان ومراجعة ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3،1983م.

50. المراكشي محي الدين عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان ومحمد العلمي، ط1،مطبعة الاستقامة بالقاهرة،1949م.

51. المقري ، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج2، 1359هـ/1940م.

52. المقري أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج3-6، تح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر العربي، بيروت، 1998م.

53. المقريزي تقي الدين، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.

54. المقريزي تقي الدين، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، دت، دب.

55. والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

56. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقية، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

57. ياقوت الحموي شهاب الدين(ت626هـ/1228/)، معجم البلدان، ج1-2-4-5-7، دار صادر، بيروت، 1886م.

58. العسقلاني إبن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، دار الجيل ، بيروت، 1993م.

ثالثا: المراجع:

1. إبراهيم حسن علي ، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963م.

2. ابن فارس أبي الحسن أحمد ، معجم مقاييس اللغة، تح وضبط عبد السلام محمد هارون، ج 2، دار الفكر سوريا، 1979م.

3. أبو الفضل محمد أحمد، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها(344هـ-484هـ/955م-1091م)، تصدير السيد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، الإسكندرية، 1981م.

4. أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973م.

5. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008م.
6. -الرفاعي أحمد فريد، عصر المأمون، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1927.
7. البستاني بطرس ، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، طبعة جديدة، 1987م.
8. بن عامر أبي عبد الله محمد، رحلة إبن رشيد السبتي، دراسة وتحليل أحمد حدادي، مطبعة إليت، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1424هـ/1982م.
9. التليسي بشير رمضان وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004م.
10. التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري-العاشر ميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2003م.
11. خليفة حاجي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج5،دار الفكر،دط، بيروت، 2007م،
12. رمضان أحمد أحمد ، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربية، جدة، دت.
13. الزركلي خير الدين ، الأعلام ،ج2-4، دار العلم للملايين بيروت لبنان ، ط15، دت
14. زيادة نيقولا، الجغرافيا والرحلات عند العرب، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م.
15. زيدان جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية،ج3، راجعها وعلق عليها شوقي ضيف،دط، دار الهلال.دب، دت.
16. السيابي أحمد، التواصل الإباضي بين عمان والبلاد المغاربية، ط1، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 1435هـ/2014م.
17. السيد محمود ، الفتوحات الإسلامية، مؤسسات شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004م.
18. الشاهدي حسن، أدب الرحلة في العصر المريني، ج2 ، منشورات عكاظ، دب، دت.
19. الصلابي محمد علي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ج1، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع،الإسكندرية، 2003م/1346هـ.
20. العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دت.

21. عبد الرحمان الشوابكة نوال ، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، تق صلاح الجرار، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1428هـ/2008م.

22. العربي إسماعيل، المدن المغربية، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

23. عطا الله الجمل شوقي وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، ط1، مكتبة أنجلو المصرية،القاهرة، 2006م.

24. الفاسي تقي الدين محمد ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،ج4، تح فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1406هـ/1986م،

25. فهيم حسين محمد، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، عالم المعرفة، الكويت، 1989م.

26. الفيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني،ج 1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م.

27. قنديل فؤاد، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 1423هـ/2002م.

28. كردي علي إبراهيم، أدب الرِّحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م.

29. كنون عبد الله، ذكريات مشاهير رجال المغرب، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، دت، بيروت.

30. المجدوب عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، تح علي الشابي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1395هـ/1975م.

31. محمد وهيبة عبد الفتاح، جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع من الأدب الجغرافي والتراث العربي، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية،1415هـ/1995م.

32. المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرنيين، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م.

33. الهندي صالح ذياب ، الرحلة في طلب العلم في الإسلام وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، دراسات العلوم التربوية، مج38، العدد1، دب،2011م.

رابعا:الرسائل الجامعية:

a. خديجة طاهر منصور، علماء المشارقة ببلاد المغارب ودورهم في الحركة الفكرية(140-668هـ/757-1269م)، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، تخصص تاريخ وسيط، إشراف عبد القادر بوباية، جامعة وهران، الجزائر، 1440هـ/2019م،.

2. بالأعرج عبد الرحمان، علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنيين السابع والتاسع هجريين(9-7هـ/13-15م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، تلمسان، 2013م.

3. بناهض عبد الكريم، القيمة اللغوية للرحلات الحجازية ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق رحلة العياشي أنموذجا،مذكرة لنيل الدكتوراه تخصص الدراسات اللغوية في ضوء التواصل الحضاري، إشراف والي دادة عبد الحكيم، جامعة تلمسان، الجزائر، 2017-2018م.

4. بنت سعيد الحربي أماني، مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنيين السابع والثامن الهجريين 13-14م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف أ.د.لمياء بنت أحمد الشافعي، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 2015.

5. بوشقيق محمد، العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن(9هـ/15م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004م.

6. رقيق كمال، المصطلح اللغوي في كتاب سيبويه، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص لسانيات، إشراف عبد الجليل مرتاض، تلمسان، 2013م.

7. روباش جميلة، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، إشراف محمد بن لخضر فورار، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014-2015.
8. عباد حمزة، جمالية الرمز الصوفي في ديوان أبي مدين شعيب، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، الأدب الجزائري القديم، إشراف أحمد موساوي، ورقلة، 1429هـ/2008م.

9. عبدلي لخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بنو زيان رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005م.
10. عثمان شريف أمال، التأثير الروحي لأبي الحسن الشاذلي في مصر خلال القرن السادس، السابع والثامن الهجري الموافق ل الثاني عشر، الثالث عشر والرابع عشر ميلادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف لعرج جبران، سعيدة، الجزائر، 1438هـ/2017م.
11. عنايت سعيد عبير، خانقاهات مصر حتى نهاية عصر المماليك البحرية(647هـ-784هـ/1250م-1382م)، بحث مستل من أطروحة دكتوراه بعنوان الخدمات العامة لدولة المماليك في مصر، جامعة الأنبار، العدد203، 1433هـ/2012م.
12. كعبي علي بن يحي، آراء الشيخ عبد الرحمان الثعالبي الإعتقادية من خلال تفسيره(الجواهر الحسان) عرض ونقد، إشراف الشيخ صالح أحمد الخطيب، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، تخصص العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1435هـ/2014م.
13. لكمين إيمان، جامع الأزهر ودوره الثقافي والسياسي في الفترة المعاصرة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ معاصر، إشراف كربوعة سالم، جامعة بسكرة الجزائر، 2015-2006م.
14. لونانسة لبنى، النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنيين السابع والثامن الهجريين، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب المغربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2013-2014م.

خامسا:المجلات:

1. البوعبدلي مهدي، أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عير العصور ونبذ مجهولة من تاريخ بعض أعلامها، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد26، جويلية أوت، 1975.

2. السنيدي عبد العزيز بن راشد، المجاورون في مكة و أثرهم في الحياة الثقافية، بحث مقدم الى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ.

3. شقور عبد السلام المختار، المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية بحث مقدم الى مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية،1426هـ.

4. عبيريد أحمد، التواصل المعرفي بين علماء المغرب الإسلامي وشرقه في العصر المملوكي دوافعه-مظاهره،المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، دبي، 2013.

قائمة المختصرات:

العبارة	الرمز
الميلادي	م
الهجري	هـ
المجلد	مج
الطبعة	ط
الصفحة	ص
الجزء	ج
تحقيق	تح
تعليق	تع
تقديم	تق
دكتور	د
دون تاريخ نشر	دت
دون بلد نشر	دب
دون طبعة	دط
توفي	ت

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
العنوان	
مقدمة	2
المبحث الأول: الرحلات الجغرافية في العالم الإسلامي.	
أولا: تعريف الرحلة.	9
ثانيا: نشأة الرحلة ودوافعها.	12
ثالثا: تطور وأهميتها.	21
المبحث الثاني: مظاهر الرحلات الجغرافية بين قطري العالم الإسلامي مشرقه ومغربه.	
أولا: دوافع الرحلات المغربية.	27
ثانيا: نماذج من رحلات المغاربة إلى المشرق.	30
ثالثا: نماذج من المرتحلين من المشرق إلى المغرب.	43
المبحث الثالث: دور الرحلات الجغرافية في تحقيق التواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي ومشرقه.	
أولا: دور العامل السياسي في تحقيق التواصل الثقافي.	51
ثانيا: دور العامل الديني في تحقيق التواصل الثقافي.	58
ثالثا: دور العامل العلمي والتعليمي في تحقيق التواصل الثقافي.	70
الخاتمة	84
الملاحق	88
قائمة المصادر والمراجع	92
فهرس الموضوعات	